

الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ - مايدين - القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

برل الاشتراك عن ستة

١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نعم المدد ٢٠ مليا

الاععلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٦٣ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٧ من شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٩ - ١٦ يناير سنة ١٩٥٠ - السنة الثامنة عشرة »

على محمود طه

شاعر الورد النفسى

للاستاذ أنور المداوى

- ٥ -

تحدثت إليك في الصورة النفسية الأولى وأعنى بها « الموسيقية الميماء » عن خط الأنحاء النفسى ومكانه من الوحدة الفنية ، وعن أدوار الربط بين الوجود الداخلى والوجود الخارجى أوبين على المشاهد الخفية والمشاهد المرئية ؛ وعن أصول الرؤية الشعرية ومصادرها في شعر الأداء النفسى ، وتحدثت إليك في الصورة الثانية وأعنى بها « القمر الماشق » عن الموسيقى الداخلية وقيمها في شعر هذا الأداء ، وعن الحركة النفسية والحركة المادية . وعن التجسيم الشعرى كأثر من آثار الملكة التخيلية . وتحدثت إليك في الصورة الثالثة وأعنى بها « الثمال » عن الملاقة النفسية بين الألفاظ ، وعن التصميم الماخلى كدعامه من دعائم الملكة التنظيمية . وعند ما عرضت للملكة الأولى - أتمسد التخيلية - قلت إن أول مزية من مزايا هذه الملكة هي التجسيم ، التجسيم الذى يجمع من الحركة الجامدة حركة حية ، ومن الكون المادى الصامت كوناً يمجج بالشاهر والأحاسيس ، ومن الصورة التى نغز على المنس

صورة ندر كما الحواس ، حتى أتوشك أن تنالها الأيدى وأن تراها الميون . وكانت هذه هي المزية الأولى مطبقة على قصيدة « القمر الماشق » ... أما المزية الثانية فنطبقها على هذه القصيدة الجديدة « حانة الشمراء » ، وقبل هذا التطبيق تقدم الصورة النفسية الرابعة ، هناك في الصفحة السادسة عشرة من « زهر وخرم » :

هي حانة شتى عجائبها معروشة بالزهر والقصب
في ظلة باتت تداعبها أنفاس ليل مقعر السحب
وزعت بمصباح جوانبها صافى الزنجاخة راقص الذهب
(باخوض) فيها وهوسا حبا لم يخل حين أفاق من عجب
قد ظننا ، والسحر قلبها شيدت من الياقوت والذهب

إريقه حل من الدر وكان ما حوله من صور
تركت مواضعها من الأطر منهن عازقة على وتر
وغريرة حوراء حكا القمر أو تلك حاتته ؟ فواجبها
ومن الخيال أهل واقتربا في موكب يتمثل الطربا
وبكل ناحية فنى وثبا

يزهى به قدح من الماس متحركات ذات أنفاس
ومشت له في شبه أعراس متفجر بأزق إحساس
نحو على شفثيه بالكاس أم صنع أحلام وأهواء ؟
« فيدوس » خارجة من الماء ويميل من سحر وإفراء
متملقا بذراع حصاه

الرمزية اللفظية والرمزية النفسية . وما دمنا ننكر القسم الأول من الأداء ، ولا نقيم كبير وزن للذوق الأول من الموسيقى . فإننا نستعجن أيضاً ذلك اللحن الأول من الرمزية . إن الفارق بين الرمزية اللفظية والرمزية النفسية هو الفارق بين الرمزية المصنوعة والرمزية المطبوعة . إننا نشد الموضوع في الفن لأنه ركن من أركان الجمال فيه وطريق من طرق الإحساس بهذا الجمال ... والشعر فن من الفنون الجميلة لامراء ، فإذا أخفينا هذا العنصر الفمالي الذي يسلكه في عداد تلك العنون ؛ إذا أهميناه وراء ستار من التمديد والمعوض والتعمية والإبهام فقد تلاشى أول بريق أخاذ يمكن أن تتملأ العين في هذا الفن ، ونمى به الجمال الزيد في شعر الأداء النفسي تلك الرمزية النفسية المطبوعة ؛ الرمزية التي تلف الفكرة العامة أو الموضوع العام بوشاحها الرقيق الذي لا يحجب الضوء ولا تضيق من وراءه العالم ... وكل رمزية في واقع الأمر نقاب يلقى على الوجه الجليل ، ولكن هناك وجهاً يحول النقاب الكثيف بين جماله وبين العيون ، ووجهاً آخر يكسبه النقاب الشفيف فوق جماله ألواناً وبين العنون . وهكذا تجد الفارق الدقيق بين الرمزية اللفظية والرمزية النفسية .

إن الرمزية في جوهرها ما هي إلا وسيلة من وسائل التعبير تستحيل معها الدركات الحسية إلى مدركات نفسية ... إنها الجسر الذي تمبره الألفاظ والأخيلة والمعاني لتلتقي في بقعة فكرية يعينها تنطلمس فيها الماديات لتحل محلها العنوبات . وهي في الشعر بعد ذلك ألوان : رمزية جزئية تصب في قالب اللفظ وحده ولا تتعداه ورمزية مماثلة تقع من الصورة الوصفية المحدودة موقع الإطراء ، ورمزية كلية تشمل الهيكل العام أو الموضوع العام للقصيدة . أما رمزية اللفظ فهي رمزية الشطحات التعبيرية ، أما رمزية الصورة فهي رمزية الشطحات التخيلية ، وكلاهما تمثلان ذلك النقاب الكثيف الذي يبقى ظلاله المبهمة الداكنة على وجه الفن ويحيل الومضة للفكرية ظلاماً تتخبط فيه الأذواق وتضطرب الغايبس في تحديد مداه . هناك لفظ يدفعك إلى أن تبذل في استجلاء مراميه كثيراً من العناء ، لأنه يمتح من نبع شعوري معقد يتدفق من وجود داخلي معقد ، وهناك صورة مجهد فكرك إذا حاولت أن توفق بين خطوطها المتنافرة ، لأنها مرسومة بريشه الحركة

يتوهجون صبابة وصبا يتمثلون غريب أزياء

سحر الثياب تحال أنهمو
جلسوا نشاوى مثلما قدموا
يتهمسون وهمهم نغم
إن تسأل الخمار قال هو
لولا دخان التبغ خلتهمو
من كل مرسل شعره حلقا
غليونه يستشرف الأفتا
أسمى يبيثر حوله ورقا
فاذا أتاه وحيه انطلقا
ويقول شعراً كيفا انفقنا

باخوس يروي عن غرائبهم
قصص تدارل عن صوابهم
وعن الخطيئة في مذاهمم
واللهات إلى جوانبهم
يمجبن من فعل الشراب بهم
وتلفتوا لا بدا شبح
سمراء بالأزهار تنشح
ومشت تراقصهم فالحوما
وسرى بسر حقيقه القدرح
وشدا بجو الحانة القرح

هي رقصة وكأنها حلم
الكأس فيها وهي تضطرم
زنجية في الفن تحتمكم ؟
فأجابت السمرء تيقم :
يا أيها السمرء وبحكم
الليل ولي والنهار بدا

هذه الزببة الثانية من مزابي الملسكة التخيلية هي الرمزية ... وما دمنا نقسم الأداء في الشعر إلى قسمين : أداء لفظي وأداء نفسي ، ونسب الموسيقى في الشعر إلى نوعين : موسيقى اللفظ وموسيقى النفس ، فإننا نفرق أيضاً بين نوعين من الرمزية : هما

المتناثرة أو التنسيق بين ظلالها المتداخلة وأضواؤها المتشابكة ،
ولكنها الصور المنتظمة الواضحة التي تخلو من انحراف القطعة
والتواء التعبير وشطح الخيال ، إنك لن تصادف غير شيء واحد
هو أن القصيدة في بنائها العام قد رمز بها إلى معنى عام ، معنى
مهده الشاعر بالأسس التخيلية في القطوعات الأولى ليقيم الطابق
الأخير في المقطوعة الأخيرة، وهو الطابق الذي تصمد إليه الرمزية
النفسية في آخر خطوة من خطواتها لتستقر فيه ا

هذه الأسس التحيلية هي « الحانة » في المقطوعة الأولى ثم
« باخوس » إله الخمر في الاساطير الإغريقية القديمة ، ثم « فينوس »
في المقطوعة الثانية وهي إلهة الجمال في الأساطير الإغريقية أيضا
ثم جماعة « السمراء » في المقطوعة الثالثة ، ثم تلك « الراقصة
السمراء » في المقطوعة الرابعة . وسعرتى أن الشاعر قد أخضع
الملكة التخيلية لجو الاسطورة الإغريقية بالذات ليصل من وراء
ذلك إلى تحقيق غرضين رئيسيين هما على التحقيق دعواتا الرمزية
الموضوعية . أولها هو أن يجمع بين هذه الأسس التخيلية الاربعة
في مجال واحد ، وثانيها هو أن يتخذ من هذه الأسس مباره إلى
الهدف الاخير ، ونعني به المعنى الذي رمز إليه بموضوع القصيدة .
اقد تمثل على طه أول ماتمثل مشهد الحانة ، ثم تخيل أن يكون صاحبها
هو « باخوس » ليعلق نوطا من الصلة الإيجابية بين مكان الخمر وإله
الخمر ، ثم تخير أن يأتي بجماعة السمراء ليوجد نوطا آخر من الصلة
الإيجابية بين الفن وأصحاب الفن ، ثم تمدان يجمع بين « فينوس »
ربة الجمال وبين الرنجية الراقصة لينشئ نوطا ثالثا من الصلة
المكسية أو السلبية بين مقام الآلهة ومقام البشر !

نعم لقد تمدان يجمع بين السمراء والبيضاء أو بين ساكنة
الأرض وساكنة السماء وتدخل الرنجية الراقصة إلى الحانة ثم تلقى
بنقلها لترقص أمام أهل الفن ويقبلون عليها في حركة تتم على
المجرب والإيجاب وتضج الحانة برنين الكؤوس وترتقم الأصوات
بالبناء وتحتج « فينوس » وهي تمد يدها بكأس يضطرم فيها
الحبب اضطرام قلبها التائر وشمورها المهتاج . أهل الفن يشلون
عن ربة الجمال والذلال والسحر، بهذه الرنجية ذات القوام الناكن
والبشرة الفاتحة ؟ يا ضيمه الفن عند قوم من السكارى لا يميزون
وهذه هي اللفتة الأولى مصورة في هذه الأبيات .

اللواحية ، أو لأنها من صنع الخيلة الملقنة في آفاق ذهنية
لا تمكس منها غير مظاهر الضباب . وهكذا نجد الرمزية المصنوعة
حين تردها إلى شطحات التعبير والتخيل في نطاق الصور والألفاظ ،
ولا كذلك الرمزية الطابوعة لأنها حركة استبطان نفسى قبل كل
شيء ، استبطان تبدأ مرحلته الأولى بجمع المادة الأولية لكل
ظاهرة حسية في مجالها المادى وتبدأ مرحلته الثانية بفحص هذه
المادة الأولية فحسبا يرجعها إلى مصادرها من النفس والحياة، وتبدأ
مرحلته الثالثة بعملية المعالجة والموازنة بين الطابع الحسى لمظهره
المادى وبين الطابع النفسى للفكرة الفنية . وفي هذه المرحلة الأخيرة
يتم التوافق الدقيق الكامل بين على الماديات والمعنويات ا

هذه الرمزية الطابوعة التي نعنيها بهذه الكلمات ، هي الرمزية
التي يرقل فيها اللفظ في أبوابه النفسية البسيطة التي لا تختلف
وكل ما يعاثلها في الشعر من أبواب ؛ والتي تخاطر فيها الصورة
الوصفية في مواكبها البيانية مفعورة بأضواء الحركة الواعية التي
تعمل في وضوح النهار ، هذه هي الرمزية التي يبق فيها الرمز بمد
ذلك مقصورا على الفكرة العامة للقصيدة أو مقصورا على الموضوع
العام ؛ عندئذ تكون الرمزية في الشعر عملاقا جديرا بالنظر فيه
والاطمئنان إليه ، وكذلك كل عمل فنى يتخلو من الشعوذة اللفظية
والشعوذة الفكرية ابل إننا نخطو إلى أبعد من ذلك خطوة أخرى
حين نطالب بأن تكون تلك الرمزية الموضوعية أشبه بالخريطة
الجغرافية التي تنضح فيها مواقع الرنتمات والمنخفضات، عن طريق
« الإيعاء » إلى هذه وتلك بما يتعارف عليه من ألوان ... هنا في
مثل هذه الخريطة « ألوان مادية » توىء أو رمز للجبال والوديان
والأنهار ؛ وهناك في مثل تلك الرمزية « ألوان نفسية » توىء هي
الأخرى أو ترمز للغاواهر والخواطر والمدركات .

بعد هذا نسطيع أن تطبق هذه المقدمة التحليلية تطبيقا نقديا
على « جانة السمراء » في غير جهد ولا عناء . إنك لن تصادف
لفظا واحدا يرهق بطول الجرى وراء معناه ، ولكنها الألفاظ
المادية تسير في مجراها الطبيعي ونعفى في طريقها الرسوم ، دون
أن تجوجك إلى السؤال نحو السؤال : ماذا يقصد الشاعر ، وإلى أى
معنى يهدف ، وإلى أى وجهة نفسية يطلق انكركه العنان ا ولن
تصادف صورة واحدة تكدر ذهنك في سبيل الربط بين أجزائها

مثل ضعف الرؤية الشعرية وبخاصة إذا جاء هذا الضعف من شاعر يبلغ الأوج في قوة هذه الرؤية في كثير من شعره وهو على طه ... ترى هل أمكنك أن تنفذ إلى موقع الضعف في هذه الرؤية الشعرية؟ إنه في تلك الصلة الواهية بين حمرة الثياب وبين حانوت القصاب، لأن واقع الحياة يؤكد لك أن حوانيت القصابين لا تلتطخ ثياب الوافدين منها بقطرات من الدم ينقل فيها اللون من حال إلى حال!

ومعنى في عرض صور الاداء النفسى الممتاز فتقدم اليك «هذا الهمس المنغم الذى يسرى على رنات الأكراب»، ثم هؤلاء الشعراء الذين كأنهم «أنصاف آلهة لولا دخان التبغ»، ثم هذه «الخلق المرسل من شعرهم وكأنها قطع من الحلك» ... هنا تتبع الرؤية الشعرية من أعماق الحركة الواعية، لأن الشاعر لم ينفل عن السمات المعروفة بطريقة إرسال الشعر على هيئة حلقات عند شعراء الأغريق مادام قد دفع بالمسكة التخيلية إلى جو الأسطورة الاغريقية. ثم هذه الاشارة الطريفة في هذا «الفيلون الذى يستشرف الأفق ويكاد يحرق قبة الفلك»؛ إنها إشارة إلى خيلاء الشاعر ممثلة في تصوير الحركة المادية التى تم عن الشموخ والاستملاء! ثم هذه الصور الوصفية الثلاث في الأبيات الثلاثة التالية، إنها لمسات موقفة تبرز لك أحوال الشعراء عندما يهبط عليهم الوحي، في رأى خمار مخمورا

وفي المقطوعة الرابعة تروعك هاتان التحليقتان من تحليقات الخيال:

قصص تداول عن سواحهم وعن الصبايا فتنة الرائي

وعن الخطيئة في مذاهم بدأت بأدم أم بجواء

ثم هاتان الصورتان من صور الوصف:

ومنت تراقصهم فالحوا الاخطى روح وأعصاب

وسرى بسر رحيقه القسح

في صوت شاجى اللحن مطراب

ثم هاتان الوثبتان من وثبات الأداء:

هى رقصة وكأنها حلم وإذا بفينوس تمد يدا

الكأس فيها وهى تضطرم قلب بهز نداؤه الأبداء

ولا تنس هذا التوزيع الإيقاعى في هذه الموسيقى الراقصة التى تتلاءم كل الملامة مع الجو الشعرى للقصيدة ... إننا صرنا أخرى في آفاق الدانية الغنائية (يتبع) أنور المعراوي

هى رقصة وكأنها حلم وإذا بفينوس تمد يدا
الكأس فيها وهى تضطرم قلب بهز نداؤه الأبداء.
زنجية في الفن تحتكم قد ضاع فن الخالد بن سدى
وتبتسم الشعراء ابتسامه تحمل ألف معنى إلى «فينوس»
ثم تهتف في ثقة واعتداد:
فأجابت الشعراء تبتسم الفن روحا كان أم جسدا؟
بأيها الشعراء وبمحكم الليل ولوى والنهار بدا!

وهذه هى اللقطة الثانية ... وبهاتين اللقطين الراجعتين يقيم على طه المبرين الكبيرين للرمزية النفسية أو الرمزية الموضوعية! ترى هل أدركت المعنى العام الذى يرمز إليه الشاعر في هذه الكلمات؟ لمد أراد هنا أن يمرض لك عن طريق الرمز قصة النزاع الخالد أو قصة الخصومة الخالدة بين أرسطراطية الفن وديمقراطية الفن فأنى «بفينوس» لتمثل النزعة الأولى وأنى بالزنجية الراقصة لتمثل النزعة الثانية، ثم أنطق هذه برأى في حقيقة الفن وأنطق تلك برأى آخر، ليطلما على مدى التفاوت بين نظرتين. نظرة الأرسطراطيين إلى الفن ونظرة الديمقراطيين إليه! أو نظرة تلك الفئة المترفة التى تريد للفن أن يتعمم بالأبراج العاجية ونظرة هذه الفئة المتواضعة التى تريد له أن يأوى إلى الأبراج الخشبية ليكون قريبا من الناس ... وهى طريقة يلم فيها التوفيق مدام حين يصرخ الشاعر على لسان الزنجية الراقصة: ليس الفن جسدا يلتصق بالأرض ولكن روح تتصل بالسما، وليس الفن جسدا يوزن بما فيه من سواد ولكن روح توزن بما فيها من صفاء!!

بمد هذا تنتقل إلى ظلال الأداء النفسى متمكة على الألفاظ ولا أريد أن أقف بك طويلا عند الصور الوصفية المتناثرة هنا وهناك، حسبي أن أشير إليها اشارات عابرة، وحسبك أن ترجع إلى الفصول النقدية السابقة لتقوم بعملية التطبيق ... أمامك هذه «الظلة التى تداعبها أنفاس الليل»، ثم هذه «الصور المتحركات التى تركت مكانها من الأطر» ثم هذه «التريرة الحذراء التى تخنق على شفتى باخوس بالكأس»، ثم هؤلاء الفتيان «الذين يتوهجون صبابة وسبا» فى موكب فينوس. وعندما تبلغ أول بيت من المقطوعة الثالثة ستصدمك هذه الصورة:

هر الثياب تخال أنهمو يفدون من حانوت قصاب
لها المدمة الوحيدة فى القصيدة، وممذرة إذا قلت لك إن الشاعر هنا قد خان التوفيق، وليس هناك ما يصدم ناقد الشعر

مذهب في الحياة

للإستاذ رفيع فاخوري

إذا الزمانُ مالَ بالحرِّ وصالَ البقرِ
وهزَّ في بنيه من قد طاب فيه عنصر
وعمت الأدناس حتى يئس الطهر
فليس يفتي عنك إعراضٌ ولا تذر
الداءُ في صدرك قتالٌ فكيف تصبر ١؟
زُم الطايا لفلانٍ لم ليس فيها بشر

وله أيضا:

لم أبك إلا على عهد شقيت به
في البحث عن صاحب يدني مسرائي
لو كنت أنقذت عمري في معاشرته
أفنى لأنقذت أبواب المدارة
لكن من أشتكى أخفى حقيقةتهم
عنى وجلهم توبُّ المزاراة
ممثلون شهدنا في ملاءبهم
مصارع الصدق شتى والصدقات
هذي البراقع لو شفت لأضحكنا
مأخذا من صفار النفس مرات
ولو تحدت عنها ناطقٌ مرضت
آذاننا من غثائات الجهالات
لا أصلح الله ببد اليوم تجربتي
ولا أقال على مسماي زلاتي
فقد ذوى الأخضر الأملود من عمري
وطاح عهد التصاق والموتات
رفيع فاخوري

عص

لا أحسدُ الناس على ما جموا وعمروا
أكثرُ ما في حوزة الخزان عارٌ أكبر
ولستُ بالرافى في جاهٍ وصيتٌ يُنشر
قد رخص الجِدُّ فعلُ لأهلٍ : لا تبطروا
حتى المروماتُ وشا راتُ المالِ متجرا
تُعطى بلا من لمن ضيع ما لا أذكرا
ياشرف الأنفس صرت عرضاً يزور
يا مبدن الفخار أنت خرفٌ لا جوهر
قد أعوزَ القومَ سراجٌ والنهارُ مبصرا
فقد عن دارٍ آخرٍ الخطوة فيها الأحقر
وقل : على الربع سلا مٌ ، فالقام منكر
سواى في جاهٍ عريضٍ أو غنى يُفكر
تروة نفسى يا قصير السقل أشيا آخرُ
كُتيبٌ يُنظم فيه دُرٌّ أو تشر
فيه جمالُ الكون مطويا وفيه عبرُ

وقطمةٌ من الجنان قد وشاها عبقرُ
ظلالها مقيلٌ روى إن عاناها البشر
أخفى على منهم طائرهما المثرثر
وجدولٌ في عين كل ظالمٍ مصور

وذاتُ دل وجهها فيه بيان يؤثر
حسبك منها - وأمان النفس شتى - منظر
خط على ميسمها : بعض الحلال مسكر

ونمةٌ تطلقها جنجرةٌ أو وتر
سامها بطولٍ في ثيابه ويقصر
أنى فؤاد أيقظت جراحه لا يظفر ١؟
وأى صبرٍ هربت في أذنه لا يبر ١؟

وزارة الصحة العمومية

المراقق العامة

مصلحة الشؤون القروية

تلعب مصلحة الشؤون القروية بأن

المنافسة الخاصة بتوريد سببين وحيدة

ميكانيكية قد تأجل فتح مظانها

الى يوم ٢١ يناير سنة

١٩٥٠

١٩٥٠

رابعة العدوية

للآنسة دعد الكيالي

قدماها وكسرت ذراعيها فأغنى عليها. وأخيراً نهضت وقد انطوت نفسها على الحسرة والألم؛ وبصوت متهديج من الخشوع أخذت تقول: «رباه قد انكسرت ذراعي وأنا أعاني الألم واليتم، وسوف أمحمل كل ذلك وأصبر عليه. ولكن عذاباً أشد من هذا العذاب يؤلم روحي ويفكك أوصال العبر في نفسي منشؤه رب يدور بخلدِي. وهل أنت راض عني يا إلهي؟ هذا ما أتوق إلى معرفته». وما كادت تم نجواها هذه حتى سمعت هاتفاً من وراء الشيب يساقط في أذنيها هذه العبارة: «للك رابعة: يا الله ربي...» الملائكة من أجلها فشاع في نفسها السرور، وانتشيت من فرط الطرب قفلت راجمة إلى بيت سيدها والأحلام السماوية تداعب أوتار قلبها بأناملها السحرية.

وفي ذات مرة أرق سيدها نسمع في جوف الليل صوتاً راعشاً كسب الدارجة وأمهيباً كرائماً فاهتز له قلبه. ووافق يبحث عن مصدره، ولم كان عجبته شديداً عندما أطل من ثقب الباب فرأى رابعة تمشي بحرارة وإخلاص بالعين؛ وبصوت عميق مبرمهما تقول: «ربي إنك تعلم أن أشد ما أتوق إليه هو عبادتك وتأدية مالك من حقوق؛ ولكنني أسيرة لا أملك حريتي الشخصية، فلا سبيل إلى تحقيق هذه الغاية فلتعذرني يا إلهي؛ وعلى أثر ذلك دبت الحمية في صدر الرجل. وفي اليوم التالي أعتقها فكادت ترقص من عظم السرور. وأقامت وحدها في منزل متواضع وقامت بأود نفسها من كسب يدها فسمعت بالحديث النبوي الشريف: «لا تكونوا كلاً على الناس».

ومما لاشك فيه أن شاعرنا كانت ملحة عبادي، القراءة والكتابة وهي بعد عند مولاهم فلما أن حصلت على حريتها نمت هذه البدايات ورعرعتها.

وكأننا بها وهي متنقلة بين مساجد البصرة المليحة الأضواء تنهل من موردها العذب وتعلم من تيمرها السلسال فلا تمضي مدة مطوية حتى تغدو عالمة العصر وأديبة الجيل.

وقد كانت على فقرها محبة إلى القلوب يحملها حتى أكا بالعلماء ويستفتونها في دقائق التصوف والفقه ويتناقشون معها وينظرونها فيصبح بيتها على حقارة محجة التصوفين وقبلة العلماء والفضلاء فيدهونها عن جدارة واستحقاق بتاج الرجال. ولقد كان بينها

زهرة بيضاء منددة بقطرات المناجاة والصلاة والخشوع، نعمة فياضة من نبات الحب الإلهي الخالد الأكيد، شمة قدسية احترقت بدموع المشق الروحاني النقي الطاهر، قديسة عابدة منهجدة في هياكل الليالي مسبحة في ظلال الأنهار، عذراء بتول انتصرت على الآلام المادية ومسخت عملاق الشهوات الجبار فإذا به قزم لا حول له ولا طول، نعمة صوفية غربية ذات طابع جليل رائع، شخصية حلوة جذابة أقل ما يقال فيها أنها نسيج وحدها بين الشخصيات النسوية.

تلكم هي شاعرنا المتصوفة الكبيرة «رابعة العدوية» وإليك ترجمة حياتها:

هناك في مدينة البصرة المراقية حيث يلتقي الأخوان دجلة والفرات، أجل في تلكم المدينة المتضوعة بمخائل النخيل رضى الصحراء المتصوفة وتمثالها ولدت سيدتنا العظيمة «رابعة» وكان هذا في أواخر الربع الثاني من القرن الأول الهجري، ذلك العصر الذهبي الذي كان للمرأة العربية فيه شأن قبيل أن ينال الوهن الفارسي والترف الروماني من حربة ابنة الصحراء الحرة الساذجة التي كانت تختلط بالرجل ذلك الاختلاط النبيل المحسن بالمزة والكرامة.

كانت شاعرنا المتصوفة مولاة لآل عتيك، توفى عنها أبواها وهي لا تزال رطبة العود، غصبة السن نفلهما على رعايتها رجل فظ غليظ كان يرهقها بالأعمال الكثيرة، وبما لمها يمتحنى الظلم والقسوة. فكانت المسكينة تحتمل كل هذا بصدر رحب وتحتمس عند الله ما تلاقيه من العذاب والآلام. ثم ماذا؟ ثم بيدها سيدها من رجل آخر لا يقل عنه جوراً واستبداداً فتقبلت المسكينة قضاء الله المحتوم بسكينته ووقار، وتنطوى على نفسها وتلتق التمسب والنصب باليسمة الراضية وتقوم بما وكل إليها سيدها من الأعمال خير قيام.

وذاذ يوم بينما كانت تصمى لشأن من شئونها في أحد شوارع البصرة وماها بعضهم بنظرة سوء فأشاحت بوجهها عنه فزلت

بحب الدنيا» فتذرف رابسة دموع الندم وتمزم على ألا تمود للتذمر بما هي فيه .

والجليل الطريف في رابسة أن زهداها ما كان مجزأ منها عن اللذات وقصر باع في نيل الننى فقد خطبها كثير من الأغنياء والفضلاء منهم الحسن البصرى المشهور أمره فردته كما ردت غيره وبعثت اليه بهذه الأبيات :

راحتي يا أخوتي في خلوتي	وحبيبي دائماً في حضرتي
لم أحلى عن هواه عوضاً	وهواه في الغرابا عنيتي
حيثما كنت أشاهد حسنة	فهو يحرابي اليه قبلي
إن أمت وجداً ومائماً رضاً	واعنائى في الورى واشقوتى
يا طيب القلب يا كل الننى	جد بوصول منك يشقى مهجيتى
يا مرمى يا حياى دائماً	نشأتى منك وأيضاً نشوتى
قد هجرت الخلق جمماً رنجي	منك وصلافهوا قسى منيتى

وكثيرون هم الأغنياء الذين كانوا يرضون عليها الدور الفاخرة المترفة النارقة بالحرير . زكتر منهم أولئك الذين كانوا يلحون عليها بقبول الذنائب الكثيرة فكانت ترفض هذا كله وتقر منه قرار السليم من الأجر . فن ذلك أن رجلا أتاها يوماً بأربعين ديناراً ورجاها أن تقبلها قائلاً : « تستمينين بها على بعض حوائجك » . فبكت ثم رفعت رأسها إلى السماء فقالت : « هو يعلم أنى أستحى أن أسأله الدنيا وهو يملكها ، فكيف أريد أن أحدها ممن لا يملكها ؟ »

وأجل من هذا وأروع أنها كانت تمبد الله بماطفة حب تزهدت عن الغرض المادى وسعت فوق مخاوف الجنس البشرى ومطامحه وف ذلك تقول : « إلهى إذا كنت أعبدك رهية من النار فأحرقنى بنار جهنم . وإن كنت أعبدك رغبة فى الجنة فأحرمنيها . وأما إذا كنت أعبدك بإلهى من أجل محبتك فلا تحرمنى من جلالك الأزلى » .

أما شعرها فهدر فى الذروة من شعر التصوف . وحسبها فخراً أن أحدهم قال : « كانت رابسة السابقة إلى قواعد الحب والحرمان فى هيكل التصوف الإسلامى وإن الذى فاض به بعد ذلك الأدب الصوفى من شعر ونثر فى باب الحب والحزن فهو نفحة من نفحات الصيدة رابسة المدوية امام الماشقين والمزورين فى الاسلام » .

وبين بعضهم صداقة متينة حتى إن أحدهم كان لا يستطيع الصبر عن لقائها فيقول : « مروا بنا إلى المؤذبة فإنى لا أجد من أستريح إليه إذا فارقتها » .

وسئلت يوماً : « أنحبين الله كثيراً ؟ » فقالت : « بلا ريب » فقيل لها : ألا تمدين الشيطان عدواً لك ؟ فقالت : « ان محبة الله قد ملأت أرجاء قلبى فليس فيه متسع الى القلق والاضطراب من هداوة الشيطان » .

ومن وساياها . « أكنتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم » وكانت تقول : « محب الله لا يسكن حنينه وأنيته حتى يسكن مع محبوبه » . وحقاً لقد كانت رابسة هكذا بكاءة لانقطاع لها عبرة حتى أن موضع سجودها كان كهيئة المستنقع من دموعها . وتحديثنا الرواية أن كان يفشى عليها لمجرد ذكر النار . كانت ذات إرادة حديدية، أهانت الدنيا واحقرتها، وأرادت الحرمان وفضلته، وأحبت الوحده وتمسقتها .

كانت تنام على حصيرة بالية ؟ وكان موضع الوسادة قطعة من الأجر، وكانت تشرب من إناء مكسور وتطوى ليلها مسهدة نصلى لله وتناسجه حتى إذا طلم الفجر هجمت فى مصلاها هجمة خفيفة ولكنها ما كانت تلبث غير قليل حتى تهب من مرقدتها فزعة تغالب النماس وتتحدى النوم قائلة : « يلفس كم ذا تنامين وإلى كم تنامين ؟ يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم الفشور » . كان من عادتها أن تصوم سبعة أيام وتقطع إلى العبادة والزهد ليالى لا تنتر أثناءها عن مناجاة النفس بهذا الخطاب « إلى منى تمدين نفسك يارابسة وتحمليتها مشقة وهى مشقة ليس بعدها مشقة ! » وهى فى ذلك ذات مرة إذا برجل يديق عليها الباب وفى يده صحن من الطعام يتركه لديها ثم ينصرف . أماهى فتأخذ الصحن وتضمه فى زاوية من الفرة وتتشاغل بصلاح القنديل . وإنها لكذلك إذا بهرة تدخل فتأكل الطعام الذى فى الصحن . وطالما تمود رابسة فترى الصحن خاوياً فتقول فى نفسها : « لا بأس . أظفر على الماء » ولكنها عندما تذهب لتمود بالماء ينطق القنديل فلا تطيق احتمالاً وتقول : « اللهم لم هذا المذاب ؟ » فتسمع هاتفاً يقول : « لوشدت يارابسة وهبنا لك جميع . ما فى الدنيا وموتنا ما فى قلبك من نار المشق لأن قلبا مشغولاً يحب الله لا يشغل

أرجواش المنصوري

للاستاذ عطية الشيخ

مهدة إلى أبطال الفلوجة

خاتمة قرره :

نحن الآن في السنة الأخيرة من القرن السابع الهجري، قرن المصائب والآلام على العالم الإسلامي، فقد اجتاحت فيه التتار بممالك آسيا الإسلامية وقوضوا بغداد، وختموا الخلافة الإسلامية أجمع خاتمة. ولولا أن الله قبيض لهم من جيش مصر الباسل حاجزاً دفعهم عن بلاد الشام، لما أوقفهم عن تخريب إفريقية الإسلامية إلا ساحل بحر الظلمات، وقد جعلوا (تبريز) المدينة الإسلامية الفاضلة عاصمة لهم، استمداداً للقصاص من المصريين، إذا لاحت الفرصة، وواتت الأحوال.

الخاتمة الأولى :

وقد لاحت الفرصة للتتار، عند ما فر ثلاثة من كبار أمراء مصر، وقواد جيشها، من القاهرة إلى تبريز، واحتموا بقازان، ملك التتار وحفيد هولاكو خان، فأكرم وفادتهم وأحسن لقيامهم، وأخذ يفتلمهم في الذروة والغارب، حتى أطلعوه على العورات، وهوتوا عليه أمر المصريين، وذكروه بدماء آبائهم وأجدادهم، التي سفكها المصريون في عين جالوت، وبينوا له ما بين سلطان مصر وشعبه من جفاء، بسبب وزيره المستبد بالرعية، المحتجج بالارزاق، المضطهد للتائبين والأمراء والعظماء، وقد لحق بهؤلاء الخوثة الثلاثة أشياءهم وأذنبهم، والناقون على السلطان « المنصور لاجين » نقمهم، ورزقوا ملك التتار ما زينوا، وحسنوا ما حسنوا، حتى صح عزم قازان على مهاجمة مصر والشام، وما بقى من بلاد الإسلام وهكذا باع الخوثة الثلاثة : « قبيح وبكتمر والألبكي » بلادهم،

هذا والمترون للسيدة بالفضل في ميدان الأدب الصوفي كديرون. والآن يحسن بنا أن نورد نخبه من شعرها الوجداني المبر :

أقد أعرضت شاهرتنا عن كل شيء لتقبل على الله وحده. وزهدت في كل أمر لتانس بقره ورضاه. لم يكن في قلبها متسع لأي شأن من الشؤون، ذلك لأنها أحبت الله بكل مافي قلب المرأة من العاطفة التأججة العميقة، وبكل مافي روحها من الأشواق اللاهبة البعيدة. لجاء شعرها عاطفياً مؤثراً فياضاً بالشجن. ومن ذلك قولها .

أني جعلتك في الفؤاد محذوقاً وأبحت جسمي من أرداد جلوسى فالجسم منى للجلوس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسى وتقول أيضاً :

حبيب ليس بمدله حبيب ومالسواء في قلبي نصيب حبيب غاب عن بصري وشخصي ولكن عن فؤادي لا ينسب وتطالع رابعة سفر أيامها وتلفت معددة ماأنته من الأعمال

فترى في نفسها التقصير، وترى أن زادها من الأعمال الفاضلة أقل من القليل؛ ثم تذكر الله ولده رضاه وسبيل لقاءه الطويل المحفوف بالدموع والآلام والشاق فتخطر لها فكرة العذاب فتهمف بلوعة وحسرة : « إلهي أتحرق بالنار قلباً يحبك !؟ » ويضئها التفكير

فتتناول القلم ويبد مرتجفة من الانفعال تسكب على القراطاس ما يمتلج في قلبها الذاكى من الواجد والآلام فتمتوى لديها هذه النفثة الرائمة :

وزادى قليل ماأراه مبلنى أالزاد أبكى أم لطول مسافتي؟ أتحرقني بالنار ياغاية المنى؟ فأين رجائي فيك أين مخافتي؟ وتحدثنا الرواية أن رابعة بعد أن بلفت الثمانين من العمر أصبحت وكأنها الخلال اليبالي، تتحامل على نفسها من شدة الإعياء. وإذا مشت تكاد تسقط من فرط الكلال وعندما اقتربت منيتها أوصت صديقتها المخلصة عبدة بنت أبي شوال بأن تكفنها بعبادة صوفية صحتها شطراً من حياتها وشهدت قيامها في الأسفار وتهجدها في الليالي وتبللت بدموع الخشوع .

فلما جاءها القدر المحتوم سنة خمس وثلاثين ومائة هجرية كفت بعبادتها الحبيبة وخمار صوفي كانت تلبسه ثم دفنت في جبل الطور شرق القدس .

وهكذا كف قلب رابعة العامر بالحب الإلهي الخالد عن الخلقان ولكن بعد أن وقع أجمل الألحان وأسمى الأنتام .

رهر الكبالي

وظاهروا على قومهم وأهلهم وحاربوا سلطانهم .

في فصر قازان :

قازان على عرشه ضاحك السن مستبشر ، ومن حوله الخلوثة
الثلاثة ، وقد دخل قائده بولاي مع الرسول ، راجياً أن يكون
استدعاؤه لحرب جديدة تروى نفسه التمهشة للدماء ، وتقر عينيه
التوليتين بمصارع الهيجاء ، وتشنف أذنيه الوحشيتين بصليل السيوف
وصهيل الخيول وأنين الكاومين ، وتتلأ جيوبه من سلب
المهرومين ، وأمواً المغلوبين ، وقد شاع الفرس في وجهه عند سماع
مقالة الملك له : « يا بولاي ، أنت قائد الفوار ، وداية التار ،

وتعلم مالي ولك قبل المصريين من ذحول وأارات ، تقادى بها
دماء آبائي وآبائك المسفوكة بسيوفهم ، الطلولة برماهم ، فقد
دسنا الدنيا وداسوننا ، وأذلنا الشعوب وأذلونا ، ولم يكفهم رد
غاراتنا ، حتى هاجونا في عقر دارنا ، وغزونا في بلادنا ، وما تزال
سيوفهم تقطر بدمائنا ، وقد آن الأوان لناخذ بالنار ، ونسكيل
بالصاع صاعين ، وزد لهم الدين » ثم اشتد غضب قازان وتطير
الشر من عينيه ، وصاح صيحة منكرة ، كاد من هولها يفشى على
كل من في المنزل : « يا بولاي ، إجمع فرسان التار ، وأبطال
التركان ، ورماة الغول ، ولا تدع ضارباً بسيف ، ولا طاعناً برمح
ولا رامياً بسهم إلا جيبته » ثم سكت قليلاً وقال :

« يا بولاي الحرب خدعة ، والواقعة يجب أن تكون فاصلة ،
والدو صعب المراس ، تهودأ كل لحومنا ، واستمرأ شرب دماننا ،
فاستمن في هذه الواقعة بجميع أعداء المصريين ، من صليبيين
وروم وأرمن ، واضرب المصريين ضربة تنسى العالم هزائمنا المتوالية
أمامهم ، ونحمح الأمر بيننا وبينهم . »

أجاب بولاي بالسمع والطاعة ، وسجد للملك وقبل الأرض بين
يديه ، ثم قام وهم بالانصراف ، فاستدعاه الملك ثانياً وقال له :
يا بولاي ، لاتمبأ بالوقت ، فأنا لا أطلب العجلة ، وإنما أطلب
النصر ، فلا تتحرك بالجيش إلا إذا تم استمدادك ، وصار النصر
منك على طرف النمام ، واقطع على المصريين الأخبار حتى تفجأهم
غير مستمدين .

السام في فزرع :

تم استمداد بولاي وتحرك جيشه نحو الشرق ، ووصلت الأنباء

بذلك بلاد الشام ، بعد أن كشف السر ، وعرف عزم التار ،
فجفل أهل الشام ، وتفرقوا في السواحل ، وتشقتوا من الفرات
إلى غزوة .. وعظم خوف الناس وسياحهم على الإسلام وأهله ، ولولا
أن سلطان مصر بعد أن بلغه الخبر أخذ يبعث البعث لطمأنة
خواطرهم ، ما بقى منهم في الشام أحد ؛ لأن أهوال التار في البلاد
المغلوبه معروفة للخاص والعام ، وهم وشيكو عهد بمذابح بغداد
وفظائع هولاء كوخان في المراقين ، لم يرحم شيخاً ولا طفلاً ولا
امراً ، ولا عف عن منكر ، ولم يبق من البلاد التي اجتاحتها
إلا ما تبقى النيران من الحشيم ، والسيول الجائحة من الجحيم .

في أرباصه صحص :

وتحرك المصريون إلى بلاد الشام ليحرموها من العطايا الطارئين ،
وصرت الجيوش المصرية على دمشق ، متجهة صوب الشمال ، وابتهل
الناس لها بالدماء ، والتقى الجمعان بقرب حصص ، وحمل المصريون
على التار حملة صادقة ، فقتلوا منهم نحو خمسة آلاف دون أن يقتل
منهم إلا قليل . وفكر التار في الفرار ، وزلزلوا زلزلاً شديداً .

بعد أنه لواح النصر :

ما أعجب شأن الحروب ، وما أكثر التشابه بين حوادث
التاريخ ، وما أشبه واقعة حصص بفضوة أحد ، فإن المصريين بعد
أن لاح لهم النصر ، ابتلوا بتخاذل مفاجئ ، « وانكل بعضهم
على بعض .. فانهزمت اليمينه أولاً ثم تبعها جميع المساكير ، وأمعنوا
في الهزيمة ، حتى رمى الجند خوذم وسلاحهم . . وأخذوا يفيرون
أزيادهم ، ويحلقون شمورم تنكراً من العامة الذين كانوا يوبخونهم
ويشتمونهم كلما سروا عليهم منهزمين أمام التار »

أمرانه رمس :

بلت كسرة المصريين دمشق « فخرجت المخدرات حاسرات
لا يعرفن أين يذهبن ، وأطفأهن بأيديهن ، ومن استطاع النجاء
بنفسه ، فر تاركاً أهله وولده . وتشاور جماعة من عظامها في الخروج
إلى التار طلباً للصلح قبل أن يدخلوا دمشق عنوة ، وكان ممن
يرى هذا الرأي ، قاضي القضاة ابن جماعة ، وشيخ الإسلام ابن
تيمية . ثم وصل نخسة من كبار التار إلى دمشق ومعهم فرمان
بالأمان ، قرى على باب الجامع الأموي ، فاطمأن الناس ، وسكت

من فضلاتهم ويوطدون لهم المقام في بلادهم ، وبمكثونهم من رقاب ذريهم ، وما أحسن قول الجوزي أحد شعراء ذلك العصر :
 بلينا بقوم كالكلاب أخسة علينا بفارات المخاوف قد شنوا
 هم الجن حقاً ليس في ذلك ريبة ومع ذاق قد والام الحن والبن
 وقول الوداعي :

أنى الشام مع قازان شيخ مسلك على يده تاب الورى وترهدوا
 نغفوا عن الأموال والأهل جملة فما منهم إلا قسير مجرد
 ولا يفوتك جمال الثورية في البيتين الأخيرين .

هاج الحرمين :

ما أكثر ما خدع السفون بالأقاب ؛ فاستغلها للتمكن منهم أعدائهم ، وهام أولاء التتار يكافئون فبجح أحد الخونة الثلاثة بأن يولوه من قبلهم على الشام ، ويتركوا معه جيوشهم بقيادة بولاي ، ليفتح ما تبقى بالخدمة كلما أغنت عن الحرب ، استبقاء للجيش ، حتى تدخل مصر قبل الكلال ، وضياح الوقت في الحصار والفضال ، وأخذ فبجح الخائن ، يرسل إلى البلاد النيمة طالباً التسليم ، ويوقع على كتبه : «سلطان الشام ، حاج الحرمين ، سيف الدين ، فبجح » فيما هازل الحجاج وسيوف الدين ا

بطل مصرى :

علت جميع مدن الشام الحصينة أن لا طاقة لها بالصمود أمام التتار ، بعد أن سلت دمشق ، وثبتت بها قدم التتار ، ودعى لسلطانهم في الساجد ، وسار في ركابه الحن والبن ، وإرتد الجيش المصرى إلى ما وراء غزة . لهذا أذعن بلد إثر بلد ، واستسلم حصن بعد حصن ، وظن التتار أنه قضى الأمر ، ولم يبق عليهم إلا التوجه إلى مصر ، ليدخلوها آمنين ، ولكن أصبح ذلك وما زال «أرجواش المنصورى المصرى » في أقرب الواطن إليهم ، ممتصاً بقلمة دمشق ، ويأبى مع البقية الباقية من المصريين التسليم ؟ لقد استهانوا به في أول الأمر لأن دمشق نفسها في أيديهم ، ويكفى أن يقطعوا عنه الميو والذخيرة ، ليتقدم بنفسه طالباً التسليم ، ولكن خاب ظنهم ، ورأوه ينقض عليهم من القلعة ، الفينة بعد الفينة ، يستخلص من أيديهم ، ما يقيم أروده ، وبمينه على قتالهم . آتت لجاناً الصدو إلى الخديمة والليان ، فتوجه الثلاثة الخونة بترعمون

عهم الفزع ، وزاح الملح ، وانتظروا النيث من هذا البرق الخلب .

إذا رهبوا قرية :

تدفقت جموع التتار على دمشق يتقدمها الخونة الثلاثة واستسلم لهم بلد عز عليهم أيام الظاهر بيبرس مناطه ، فهل وفي الملوك بهدمهم ؟ وهل أغنى الفرمان عن الدمشقيين شيئاً ؟ إن الملوك إذا دخلوا قرية أسدوها وجعلوا أعزها أهلها أدله . وكذلك فعل السار ، وهم أبلى من غيرهم ببيع الفصال ، عند من لم يكن بينهم وبينه نار ، فما بالك وقد تمكنا من بلد تقلمت على أبوابه في الماضى القريب أرسالهم ، وأريقت دماؤهم ، وزينت أسوارهم بالرماح المشرعة عليها رهوس قتلام ؟ لقد عاثوا في دمشق وما حولها من الفرى ، «المساجد تشرب فيها الخمو ، وتهتك الستور ، وتقتض البكور ، ويقتل المجاورون ، ويؤمر الخطباء والوؤذون ، بل على قبر خليل الرحمن ، وفي حرم البيت القدس ، هتكت النسوان ، وعلقت الصلبان »

هائاه الطائفتاه :

والطائفتان هم أهل الدين من علماء الدين والتصوفة ، ما خطبهم ! صردوا على النفاق ، فواتهم بلافتة ، وعنت لهم فصاحته ، لا يجاوز العلم حناجرهم ، ولا التصوف ألسنتهم ، طرفت الدنيا أعينهم ، وبدا الترف في ملبسهم ومسكنهم وما كلمهم ، واستبدتهم الشهوات ، فكانوا أنكى على الإسلام في كل عصوره من الأعداء المنيرين . ومن العجب العاجب أن الحجيج والبراهين والأدلة تتدفق على أقلامهم وألسنتهم ، فند عهد قريب أتوا المسلمين بأن هولاء كرو أولى بالملك من الخلفاء المباسيين ، «لأن الملك يدوم على الكفر ، ولا يدوم على الظلم » وهم الآن ما كاد المقام يستقر بالتتار في دمشق حتى أذاعوا على جميع المساجد أن يدعى لقازان الكافر التترى في الجمع والأعياد بالداء الآتى : «مولانا السلطان الأعظم ، سلطان الإسلام والمسلمين مظفر الدنيا والدين محمود قازان » فهل تعجب بعد ذلك إذا سمعت ممن خلفهم في العصر الحديث ، عبد الله نابليون ، ومحمد هنتر ، وسيف الإسلام ، وسوليبي ا أما إمام التصوفة الشيخ الحريرى ، فقد سار ابناه « الحن والبن » في ركاب التتار ، بأكلون

مقام لهم في دمشق نفسها ما لم يقتحموها على من فيها، وقد يئسوا من جدوى السياسة والمخادع، وبات لا يظرف حينئذ ناس، ولا ينشئ جفونهم الكرى، ولا يذوقون النوم إلا غرأراً، خوفاً من هجمات من بالقلعة، وكانت تزداد ونشدت، كلما أمل التتار الإذعان والتسليم، فجاءوا جميعاً وأطبقتوا على القلعة من جهاتها الأربع، وهجموا عليها هجمة رجل واحد بتخيلهم ورجلهم. ولا يحسن أحد كالتتار مثل هذا الهجوم الخاطف. رمت المجانيق بأحجارها، ورغبت الخيول بفرسانها، وأسرت الأشاة بسبلاتها ودباباتها، كأنما ثار بركان، أو اشتعلت نيران، أو طغى طوفان، وأظلم الجو من النبار التطاير، والعشير السائر، وما هي إلا ساعات حتى أنجحت الموقعة، عن القلعة الرهيبة سليمة حصينة كمغلاق جبار يبيت بشع نمله أطفال، أو كالمهرم الخالد تندهدى عليه حبات الرمال، بل كنهلان تندو وتروح عليه النمل. ثم أنجحت الموقعة عن بحار من دم التتار، وأكوام من أشلائهم وتلال من رؤسهم، أما أرجواش وصحبه فهم في قلعتهم سالمون، وبالنصر فرحون مستبشرون «فله درهم ما كان أثبت جائئهم وأقوى جنائهم». **اهكمى يا مصر:**

لقد كانت الموقعة هائلة، وكان وقعها في نفوس التتار أهول، فلم يطبقوا في الشام كلها بمد ذلك بقاء، وولوا الأدبار بمن بقي منهم إلى بلادهم هارين، وفي إثرهم قبجق الخائن وصحبه، وتزل أرجواش من القلعة واستولى على دمشق، وأعاد الخطبة لسلطان مصر وزينت البلاد ابتهاجاً بهذا النصر، وطارا الحمام الزاجل بالنبأ إلى قلعة صلاح الدين بالقاهرة، فقاد جيش مصر إلى الشام، وهناك أمام قلعة دمشق أنجحت قائد الجيش المصري القائد «سلار» لحماة مصر والشام، وأبطال قلعة دمشق؛ تعجيداً وتنظيماً «وفرح أهل الشام قاطبة، وعلموا أن في مسكر الإسلام القوة والنعمة، والله الحمد» **يأبكم المشورة:**

أندرى بماذا ينمت العلماء والتصوفة أرجواش؟ إنهم يصفونه بالنفلة والجنون، ويكثرون التبذر عليه والنهك منه ويسوتون في ذلك حكايات كثيرة برهانا على صدقهم. وهالك حكاية واحدة لا شك

قبجق إلى القلعة، وم زملاء سابقون في السلاح لأرجواش، فنادوه ونصحوه بالتسليم. ولما رفض في إباء وشتم وبخوه ما شاء لهم البذاء، وأتهموه بخيانة المسلمين وإهدار دمايتهم، وقالوا له: «دم المسلمين في عنقك إن لم تسلمها»

لا تعجب أيها القارىء الكريم، فما زال الباطل يتناول على الحق، وتقلب السياسة الأمور، حتى يأذن الله ويتكشف للناس ما كانوا عنه غافلين، ويندمون على جهلهم حين لا ينفع الندم. أندرى بماذا أجاب أرجواش الخونة الثلاثة!

لقد قال لهم: «دم المسلمين في أعناقكم أنتم الذين خرجتم على بلادكم، وتوجهتم إلى قازان، وحسنتم له الجيء إلى دمشق وغيرها من بلاد الإسلام» وسكت عند ذلك، وكان يستطيع أن يوسمهم سباً، ولكن من يحسن العمل دائماً لا يحسن القول، وأبطال النضال بينهم الحسام عن الكلام، وقد عاقل قائد عربي لم يفتح عليه بكلام حين وقف للخطبة:

إذا لم أكن فيكم خطيباً فإني بسيني إذا جد الرضى لخطيب
وقال الرشيد ملك العرب لنفقور ملك الروم ردأ على تهديده:
«الجواب ما ترى لا ما تسمع»

في قلعة رمسى:

نهياً أرجواش للحصار والقتال وأجمع أمره على الموت دون التسليم، وشد أزره من معه من أبناء مصر وأبطال النيل، وصح عزم الجميع على ألا يدخل القلعة ترى وفيهم عرق يبيض، وتوالت وثباتهم من القلعة على دمشق لأخذ ما يحتاجون..

ومن تكن الأسد الضواري جدوده

يكن ليدله سبعا ومطعمه غصبا

وزادفت رسل غازان إلى أرجواش بالوعد مرة وبالوعيد والتهديد مرة أخرى، وطال الأخذ والرد، وخطباء المساجيد يهونون على التتار لسلطان الإسلام والمسلمين غازان، زكل شيء حول أرجواش يدعو إلى التسليم، ولكنه هو ومن معه لا يزدادون إلا عزمًا وتصميماً وثباتاً وبقيناً.

أغنى عن أمر:

نسى التتار أمر الهجوم على مصر، واستحوذ الخوف عليهم من قلعة دمشق. إنها شوكة في جنبهم وهلاك مشرف عليهم، ولا

في عصر مشيح بانطليال الأفلاطوني ، والثالية المتطرفة والأدب والفن ... وذلك لما تيسر له من التربية الصحيحة في البلاط المقدوني حيث الترف والتفرغ للعلم وجمع النماذج والإحصاءات ... هذه التربية التي لم تستطع المشرون سنة التي قضاها في أكاديمية أفلاطون أن تغير من أثرها القوي ، فما يزال يختلف مع أستاذه حتى يتخرج عليه - أو يتوفى هذا - أبعد ما يكونان في منهج ، كل منهما وفلسفته :

يختلف المنهج عند أرسطو عنه عند أفلاطون . فان هذا الأخير يسير على طريقة أستاذه سقراط في الحوار والجدل (الديالكتيك) الذي أدخله لأول مرة في اليونان زينون الإيلي في دفاعه عن وحدة أستاذه برميثدس وسكونه بحججه المشهورة ، والذي عد أفلاطون إمامه وعمدته حتى أثر به في الأدب اليوناني خمسين سنة كما يقول المؤرخون .

أما أسلوب أرسطو فأسلوب علمي رصين ، تذهب به الدقة والتحديد في الألفاظ والمصطلحات إلى حد النمووض أحياناً ، ولكنها لا تؤدي به إلى استطراد أو إيجاز يحل أحدهما بدل القول . قد يكون هذا التقسيم لكتبه إلى أبوابها وفصولها وقراءتها بهذه البراعة والأحكام من عمل الشراح الكثيرين الذين تعلقوا على أرسطو تسعة عشر قرناً أو تزيد (حتى بعد عصر النهضة الأوربية بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر) ، ولكن مما لا شك فيه

ما في الدنيا ثلاثة ا يقرءون . فذهبت إليهم وأخبرتهم بالخبر ، وقلت : احمدوا الله تعالى على أنه ما علم أن هذه الأشياء سبعة سبعة . فلما فرغوا من الثلاثة ، وقد هلكوا من صراخهم طلبت أجريهم ، فقال : اكتب عليهم حجة أن ثواب هذه الختمات لمولانا السلطان دون غيره ، ففعلت ذلك وجئت إليه بالحجة ، فقال : هذا جيد وصرف لهم أجرتهم . » ويمتد المؤرخون على ذلك بقولهم :

حكى عن أرجواش حكايات كثيرة ، تدل على تفنن كبير ، وتلحقه بقلاء المجانين ، وإن مصر لتصبح وقد مر على أرجواش نحو سبعة قرون : الا ليتكسب أباها المؤرخون والعلماء والتصوفون في مثل ففلة أرجواش وشجاعته وأياديه على بلاده .

هطية الشيخ

مفتش المعارف بالبا

مسابغة الفلسفة للطلوب السنة التوجيهية (٢) :

غاية الأخلاق عند أرسطو

للأستاذ كمال دسوقي

قلت لك في حديثي الأول إنه يتمم وتكاف كبيرين نستطيع أن نقتطع نظرية أخير والسعادة لأرسطو لدراستها ونعمتها . فإن هذه النظرية جزء من أخلاقه ، والأخلاق جزء من مذهبه ، والمذهب في جلته صورة للفيلسوف وعصره وبيئته .

ومن ثم ، فإنه لكي نفهم الجزء المطلوب إليك دراسته حتى نفهم ، يجب أن نضعه في مكانه من الهيكل العام للفلسفة الأرسطية يجب أن نلم بحياة الفيلسوف ، وتصنيف كتبه وترتيبها ، ثم بمذهبه في المنطق والطبيعة وما وراء الطبيعة ثم الأخلاق والسياسة ، إلماً نستطيع منه أن نتبين مبلغ الانسجام في عناصر المذهب الأرسطي كله في سانه بالبيئة اليونانية .

ليس تاريخ حياة الفيلسوف ذا أهمية إلا بقدر ما يلقى من ضوء على جوانب فلسفته وما يكشف عن بواعث آرائه وفكره . وسترى أرسطو في أخلاقه - كما هو في كل نواحي فلسفته ، رجلاً واقعياً تجريبياً تقوم آراؤه على منطلق المشاهدة . ونتائج الملاحظة ،

أنها من وضعهم ، وما أقدمهم على الكذب ، وإنما اخترت هذه الحكاية دون غيرها لأنها من رواية عالم هو الصفدي عن متصوف هو عبد النبي الفقير ، قال ساعده الله :

« لما مات الملك المنصور قلاوون - أستاذ أرجواش - قال لي :

أحضر لي مقرئين ، يقرءون ختمة لسلطان ، فأحضرت إليه جماعة جعلوا يقرءون القراءة المادية ، فأحضر أرجواش سيفاً وقال : كيف تقرءون لسلطان هذه القراءة ا يقرءوا عالياً ، فضجوا بالقراءة نجهدهم ، فلما فرغوا منها قلت : « يا مؤند » أي ياسيد فرغت الختمة ، فقال : يقرءون أخرى ، فقرءوها وقفزوا كثيراً ليفرغوا ، فلما انتهوا أعلنته وطلبت لهم أجريهم ، فقال : ويلاك ا السماء ثلاثة والأرض ثلاثة ، والأيام ثلاثة ، والمعادن ثلاثة ، وكل

أما من حيث مكان الدراسة الأخلاقية من حياة أرسطو فتستطيع أن تقول إنها تأتي في دور الاستاذية من هذه الحياة - خصوصاً الكتاب الذي بين أيدينا . وذلك لما تحمل هذه الكتب من أسماء تظن بها أن نجوم أرسطو من أصحابها في موقف الأب أو الأستاذ - من ناحية ، ومن ناحية أخرى لسوخ قلته وثبات فكره فيما يتعلق بدراساتها ، فإن حياة أرسطو يمتدُّ الطلب فيها (طلب العلم) حتى الثامنة والثلاثين ، والرحلة والسفر وتثقيف الاسكندر حتى الخامسة ، ثم يأتي دور المارقيون والأدوية والآلات حتى الثالثة والستين ، كما نجدون من تصفح تاريخ حياته .

أما موضع مصادر الأخلاق الأرسطية من بقية كتبه ولوحة مؤلفاته ، فيأتي - حسب تصنيف أندرونيقوس الرومسي لجملة كتابات أرسطو - في المجموعة الرابعة ، إذ تشمل المجموعة الأولى الكتب المنطقية بوصف المنطق مدخل العلوم ومقدمتها ، أو الإيساغوجي كما يسميه منطقة العرب ؛ وبوصفه علم العقل أو الآلة أراورغانون organum كما يقول أرسطو نفسه . ولا بد من تقديم العلم الذي يفحص الاداة الفكرية قبل فحص الأفكار التي تمتدحت عنها هذه الاداة ذاتها ؛ ثم تأتي في المقام الثاني كتب الطبيعة ، ومنها طبيعيات كبرى تبحث في المبادئ العامة المشتركة في جميع الأشياء والطبائع ؛ وطبيعيات صغرى تعرض للدراسة أمور جزئية بينها المجموعة الثالثة يسميها الشارح مابعد الطبيعة : أي التي تأتي في الدور والترتيب بعد كتب الطبيعة وسمها البعض ما وراء الطبيعة ، باعتبار ما تعرض له من أمور لا تمت إلى الطبيعة ولا إلى الحس بسبب ، بل هي إلى الأمور الكلية المجردة والمبدأ الأول وعلّة الملل أقرب والحرف *méta* في إسم هذا العلم *métaphysique* يحتمل التأويلين . وعلى كل حال فإن فلاسفة العرب يسمون هذا العلم الفلسفة الأولى أو العلم الإلهي .

وبعد هذه العلوم النظرية بأقسامها الثلاثة تأتي العلوم العملية والفنية ؛ فالمجموعة الرابعة مختصة بكتب الأخلاق وكتب السياسة والخمسة خاصة بكتب الأدب والشعر والفن . فإن أرسطو قد كتب حتى في هذه الشؤون ، وما تدرس في تاريخ آداب اللغات من أقسام القصة وأنواع الشعر والخطابة وغيرها أنت بمدني به لأرسطو - هذا المارد الجبار الذي لم يدع ملأ ولا فناً إلا سبق في

أن هؤلاء الاتباع والفسرين ما كانوا يصلوا إلى تصنيفها بهذه الدقة والسهولة والنظام ، لو لم تكن هي مرتبة في فكر صاحبها وفي كتاباته بهذه الصورة .

وإنك لتلمس لأرسطو منهجاً خاصاً في دراسة موضوعات كتبه مما تقرأ في موضوع الأخلاق الذي أنت بسبيله : فإنه إذ يحدد لك منذ البدء غاية دراسته التي يهدف إليها تحديداً واضحاً بالأمثلة يسرد لك كل ما قيل حول هذه الدراسة من آراء . وهنا يقال إن أرسطو كانت معلوماته أوسع من زمانه ، وأنه في مرحلة دراسته الطويلة التي قاربت الأربعين سنة قد استوعب كافة النظريات في العلم والفلسفة التي ظهرت ، فهو يورد لك طرفاً منها فيستبعد الخاطيء ، بعد تقدمه ، ويستبقى الصواب بعد إنصافه وجمده ، فيتقصى مشاكله ويزيد عليه بما يتأدى إلى النتيجة السليمة والحل الواقعي الصحيح . والأخلاق لها عند أرسطو منهج يستقيه من مشاهدة واقع الحياة وملاحظة أمور الناس ؛ وهو المنهج العلمي الصحيح لهذا العلم في عصرنا الحديث كما يقول به فلاسفة الإنجليز من الاخلاقيين . فبلى الأخلاق في نظرهم أن تعرض للدراسة ما هو كائن فعلاً لا كما يجب أن يكون

والاخلاق مكانها من فلسفة أرسطو ، فإن لأرسطو في هذا الفن كتابين آخرين غير الاخلاق النية وماخية المنسوب إلى نيقوماخوس *nichemaque* ابن أرسطو من زوجته الثانية أربليس ، الذي خلده في شخصه إسم أبيه هو ، وخلده هذا في كتاب الاخلاق الذي أهداه إليه . أما الكتابان الآخريان في الاخلاق ، فأحدهما يسمى الاخلاق إلى أوديموس ، وهو أسبق من اخلاق نيقوماخوس وأقل دقة وأحكاماً . والثاني يسمى الاخلاق الكبرى . وفيه يلخص أرسطو في مقالتي اثنتين ماسبق أن أوردته في الكتابين آتني الذكر .

والمكان الذي أريدك أن تضع فيه الأخلاق الأرسطية بهذا المعنى وفي مصادر هذه أحب أن تنظر إليه من ثلاثة وجوه : مكان دراسة الأخلاق من مراحل حياة أرسطو ذاتها ، في أي مرحلة هي ؛ وهذه المصادر ذاتها أين يأتي ترتيبها في جملة مؤلفات أرسطو حسب تصنيف المؤرخين لها ؛ ثم أخيراً الأخلاق كعلم وفن أين موقعها من العلوم الأخرى .

الشعر المصري في مائة عام

للاستاذ سيد كيلاني

الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية

من ١٨٨٢ - ١٩١٩

- ٦ -

احتل الإنجليز البلاد المصرية في عام ١٨٨٢ م فبدأ بذلك عهد جديد أخذ المصريون فيه إلى الهدوء والسكينة ، وأخذت الحالة المالية تتحسن يوماً بعد يوم ، فعم الرخاء واستتب الأمن وانتشرت الطمأنينة وساد العدل وسارت البلاد في طريق التحضر بخطى واسعة . وأقبل المصريون على التعمم فكثر المدارس والمطابع والمصحف والمجلات . وراجت سوق الكتب ، وجد الناس في طبع الكتب القديمة وترجمة روائع الأدب الغربي ، وشعر الجميع بمعجز اللغة العربية وقصورها عن مسابة النهضة العملية الحديثة . ففكروا في إصلاحها واختلقوا في طريقة الإصلاح . وقد ظهر أثر تلك الحركة عند الشعراء ، فنظم حافظ إبراهيم قصيدة على لسان اللغة العربية قال فيها .

أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدقاتي
ثم أخذ الروح الوطني في الظهور والنمو حتى جاء مصطفي كامل فالتف حوله الشبان والشيوخ ، وازدهرت الصحف الوطنية وجدت

تدير شؤون الفرد إلى تدير شؤون الدولة .

(٤) والعلم النظري أشرف من العمل لأنه يراد به كمال العقل الانساني . كما أن العلم العملي أشرف من الفني لأنه يدبر أمر الإنسان ويتعلق به بينما يعمل الفن في الأشياء والمحسوسات . وذلك بعض ما نجد في فلسفة أرسطو في ترتيبه وأنظمام ومذهبية .

وإنك بعد هذا الجدير بأن تقدم على قرائه أرسطو وتحليله مسمى بأفنى أوسع وفهم جديد ، حين تلتقي مرة ثالثة في الحديث المقبل إن شاء الله .

كمال دسوقي

الكتابة فيه ؛ والذي يعنى الفكر الإنساني عالة عليه مها جدد أو تقدم .

ولن يعسر عليك - بعد إذ وقفت على تصنيف كتب أرسطو أن تبين موضع الأخلاق في لوحة العلوم وقائمة المعارف عنده ، لما هنالك من تقارب كبير بين تقسيم العلوم عنده وتصنيف الشرح لكتبه . فإن العلم ينقسم عند أرسطو - باعتبار الثابتة التي يؤدي إليها - إلى نظرية ، وعملية .

فالنظرية غايته العلم والمعرفة لذاتها أبتغاء الوصول إلى الحقيقة . فإن تعلق العلم والمعرفة بوجود هو مادة وحس وحركة فهو العلم الطبيعي ، وإن تعلق بوجودات مجردة عن هذه ولكنها كم ومقدار فهو العلم الرياضي . وإن كانت مطلقة التجريد عن ذلك كله فالعلم الإلهي أو الميتافيزيقا .

أما العلم العملي فليس الغرض منه مجرد الوقوف على الحقيقة أو الحق *le vrai* وبالإنجليزية *truth* أعنى العلم للعلم والمعرفة لذاتها كالم النظرية ، بل يتجاوز ذلك إلى العمل والتدبير . فموضوعه الخير *le bon* وبالإنجليزية *goodness* فإن كان الخير الذي تنشده يتعلق بالإنسان وحده وفي ذاته فذلك علم الأخلاق . وإن تعلق بأسرته ومن ياملهم من أهله فذلك تدبير المنزل ؛ وإن امتدلتناول تدبير أمور المملكة أو الدولة جميعها من حيث هي مجموعة فذلك علم السياسة .

أريت إذن ابن بضع أرسطو علم الأخلاق من لوحة علومه ؟ هو أول العلوم العملية التي تدبر أمر الإنسان بما هو إنسان . فإن شئت بعد هذا أن ترجع مسمى إلى هذا التصنيف الذي توسع به فلاسفة العرب ونقله منهم الفارابي وابن سينا وغيرهم ، فلاحظ ما يأتي :

(١) لم يدخل أرسطو في هذا التصنيف علم المنطق لأنه اعتبره مدخلا ومقدمة كما قلنا . وإنما أحل محله العلم الرياضي بعد أن قدم عليه الطبيعي ، وأن لم يؤلف هو في الرياضة كتباً مستقلة .

(٢) أن العلوم النظرية تتدرج حسب نزوعها إلى التجريد - فالتيتا فيزيقا أرقها ، ولهذا يسميها العرب العلم الأول (الطبيعية) والأوسط (الرياضيات) والأعلى (الإلهيات) .

(٣) والعلوم العملية تتدرج من الوحدة إلى الكثرة ومن

والذى لاشك فيه أن الأحوال المالية قد تحسنت كثيرا في عهد
كرومر ، واستتب الأمن ، وساد العدل وانتشرت الطمأنينة وعم
الرخاء . وفي ذلك يقول حافظ

سنطرى أياديك التي قد أفضتها علينا فلمنا أمة تجحد اليدا
أمتا ، فلم يسلك بنا الخوف مسلكا ونغنا ، فلم يطرقت لنا الذممر قددا
و كنت رحيم القلب تحمي ضيفنا وتدفع عنا حادث الدهر إن عدا

على أن المصريين قد اختلفوا في الحكم على كرومر . فمن نظر
إلى نمو الموارد المالية على يديه وتقدم حركة العمران مدحه وأثنى
عليه . ومن نظر إلى الأحوال السياسية وتخلف الشعب المصرى
عن غيره من الشعوب الناهضة في ميدان السياسة والعلم ، وتمتع
الأجانب بحل خيرات مصر ، وانتشار الشركات الأوربية في طول
البلاد وعرضها ، وإيمانها في النهب والسلب - من نظر إلى هذه

الأحوال قدحه ونى عليه . وفي ذلك يقول حافظ

تسببت الآراء فيك فقاتل أفاد الفنى أهل البلاد وأسعدا
وكانت له في المصلحين سياسة ترخص فيها تارة وتشددا
رأى المزكل المز في بسطة الفنى فخارب جيش الفقر حتى تبيدا
إلى أن قال :

وآخر لم يقصر على المال هم يرى أن ذلك المال لا يكفل الهدى
فلا يحمد الإجراء حتى يزينه بعلم وخير العلم ما كان مرشدا
يتاديك قد أزويت بالعلم والحجا ولم تبق للتعليم بالورد مهدا
وأنتك أخصبت البلاد نعمدا وأجدبت في مصر العقول نعمدا
قضيت على أم اللغات وإنه قضاء علينا أو سبيل إلى الردى
ووانيت والقطران في ظل راية فنا زلت بالسودان حتى تمردا
فظاح كما طاحت (مصوع) بعده وضاعت مساعينا بأطما عم سدى

ففي هذه القصيدة تتبين رأى حافظ في كرومر ، ثم رأى الناصرين
لسياسة هذا العميد ، ثم رأى الناقلين على هذه السياسة وهم من
الحزب الوطنى . والملاحظ هنا أن قصيدة حافظ في وداع كرومر
كانت هادئة . والسرى ذلك أن حافظا كان تلميذا ل محمد عبده
الذى كان صديقا حميا لكرومر يستنجد به ضد الخديو عباس .

أما قصيدة شوق فقد بلغت الناية في المنف . ذلك لأن شوق كان
شاعرا الخديو الذى كانت بينهما وبين كرومر عداوة شديدة . وللكاشف
قصيدة لا تنقل روعة وغنا من قصيدة شوق ومطلها :

في مهاجة المحتلين . وسام الشراء في تلك الحركة فنظمو القصاد
الحاسية في تحريض الوطنيين على الجهاد والكفاح ، وفي هجاء
الإنجليز وكل من يتعاون معهم من المصريين ، وكان لورد كرومر
- وهو أول معتمد بريطانى في مصر - قد وضع في يديه مقاليد
الحكم بصرف الأمور كيف يشاء وفقا لمصلحة المستمر التى لم
تكن متفقة مع ما يصبو إليه المصريون من الرغبة في الاستقلال
والتمتع بالحكم الثيابى ، ونشر التعليم بجميع أنواعه بين أبناء البلاد
والظفر بحرية الصحافة والخطابة وغيرها من أنواع الحريات . لذلك
انحنت سياسة لورد كرومر التى لم تتمش مع هذه الرغبات الوطنية -
موضما لهجوم شديد ، وتقد عنيف من الكتاب والشراء .
ونظمت في عصر ذلك الرجل كثير من القصائد الفياضة بالمواطن
الوطنية الصادقة .

وفي عام ١٩٠٦ وقعت حادثة دنشواى المشهورة فهاجت الخواطر
واشدد الخلق على المحتلين . وأخذ الشراء ينظفون القصاد في البكاء
على ما أصاب تلك القرية والشهير بالإنجليز . فلشوق قصيدة
مطلها :

يادنشواى على رباك سلام ذهبت بأنس ربوعك الأيام
ولحافظ ابراهيم قصيدة جاء فيها .

ليت شمري أتلك محكمة التفتيش عادت أم عهد نيرون عادا
كيف يجلو من القوى التثقي بضميف ألقى إليه القيادا
إنها مثلة تشف عن الفسى : ظ ولنا لغيظكم أندادا
وقال اسماعيل صبرى من قصيدة ينوه فيها بمفوق الخديو عباس

عن المسجونين من أهل دنشواى

وأقلت عثرة قرية حكم الهوى في أهلها وقضى القضاء الأخرق
إن أنت فيها بأنس مما به وأرن جاوبه هناك مطوق
وارحمى لجناتهم ماذا جنوا ؟ وقضاتهم ما عاقهم أن يتقوا
وفي عام ١٩٠٧ عزل لورد كرومر من منصبه ففرح بذلك
الوطنيون فرحا عظيما ، وقد عبر الشراء عن ذلك الفرح .

قال شوق من قصيدة طريلة

لما رحلت عن البلاد تشهدت فكانك الداء المياء رحىلا
وقال الكاشف
وتنفس الصعداء شيب حامل هما يضيق به الفضاء الأرحب

أصداء

للاستاذ كامل محمود حبيب

إلى اخوان الذين جئوني بالحبّة والثقة على حين قد شطت
الدار وبعد الزار (كامل)

قرأت في العدد ٨٦٠ من الرسالة الثراء رسالة من الأستاذ
محمود الطاهر الصافي برمل الأسكندرية إلى يقول فيها « .. وبعد
فاني اعلم أنك كنت سديقاً لإمام الادب وحجة اللغة ، عبقرينا
الرافعي - لهذا أرى أن للمربية حقاً عليك تؤديه بعمل تنشر به
للرافعي ذكراً جديداً ، تلفت إلى أدبه (الباعت لأمة) . وأقترح
أن يسكون هذا العمل كما يأتي . -

أولاً . - جمع ما أثنى به الكتاب والمطالع على الرافعي ، وهو
شيء كثير يؤلف مجلداً ضخماً أو أكثر ، وما رأيت أحداً أثنى
عليه بمثله وفيه أبلغ القول وأجمله
« ثانياً ، - جمع كل ما عرف له من شعر ونثر ، والمبالغة في
هذا الجمع حتى لا يفتت مما أثر عنه شيء . -

« ثالثاً . - السعي لإنشاء كرسى لأدبه في الجامعة ، فاهو
بأقل من شوق ، ولا منزلته بأقل من منزلته ؛ بل له ميزة لم يشاركه
فيها أحد ، وهي الزامه نفسه بالأبكتب - وما أدراك ما كتابته

هلا بدا لك أن نجامل بعد ما صاغ الرئيس لك التنا إكليلا
انظر إلى أدب الرئيس ولطفه تجد الرئيس مهذباً ونبيلاً
في مامب للمضحكات مشيد مثلت فيه المبكيات فصولا
شهد (الحسين) عليه لمن أصوله وتصدر (الأعمى) به تطفيلاً
والحسين هو حسين كامل . والأعمى هو الشيخ عبدالكريم سليمان
أحد علماء الأزهر . وقد كان علماء الأزهر يميلون إلى كرومر لما
عرف عنه من صداقته لاستاذهم الشيخ محمد عبده . وقد أهم شوق
في هذه القصيدة بالدفاع عن جد الخديو عباس إرضاء للخديو
من ناحية ، ومن ناحية أخرى وفاة للخديو اسماعيل الذي ولد
ببابه كما قال

أخون اسماعيل في أبنائه واتد ولدت بباب اسماعيل

سبر كيموني

أعبي عزائمك القضاء الأغلب وطوى صهيفتك الزمان القلب
ومنها :

أنسيت محنة مصر في سودانها أيام هام الجيش فيه يهذب
أهملته حتى إذا فتكروا به أمسى فؤادك جرة تطلب
ومنها . وفيه إشارة إلى إتفاقية الحكم الثنائي في السودان بين
مصر وبريطانيا :

غافلهم حينما فلم يلفتوا إلا ونابك فيهم والمخلب
لولا خضوع وزارة عياض لم يستقم لك في السياسة شرب

أما رأى الناصرين لسياسة كرومر والمبذبن لها ، فقد جهل لواءه
الشاعر أحمد نسيم الذي استؤجر للتغني بمناقب الإنجليز وفضائلهم
وله قصيدة مدح بها لورد كرومر وودعه حينما رحل عن البلاد ،
ومطلها :

يا منقذ النيل لا يندمي لك النيل بدأ لها من فم الإصلاح تمثيل
إنا نودع فيك العرف أجمه وما لنا غير حسن الصبر تعليل
ومنها :

جمت مصر بلاد أمطرت ذهباً فتربها بمذاب التبر مبلول
خلقتها ويد الإسماد تكلفها داراً عليها من النعمى سراويل
حلت فيها وغل الجور مقعدها ذلاً وفارقتها والجور مغلول
وكتت ملجأها أيام نكبته وللحوادث بابن النيل تنكيل
سنت العباد بأمر ليس ينفسه ناه تحقق أن الأمر مفسول
وقد رفقت من الإصلاح ألوية لها رواق على الأصقاع مسدول
وقت بالأمر حتى مالنا طلب يرجى وأنت أمام الله مسؤول
وكان مصطفي فهمي رئيس النظار وقتئذ قد أقام حفلة تكريم

للورد كرومر بمناسبة سفره إلى بلاده . وفي هذه الحفلة خطاب رئيس
النظار فاطرى كرومر وأثنى عليه . فهب الشمراء بنمون على مصطفي
فهى مافل ، ويتناولونه بالنقد والتجريح . ثم خطاب لورد كرومر
في هذه الحفلة فأهان المصريين ورمم بالتمصب وتكران الجليل ،
وعرض بالخديو اسماعيل ترميضاً شديداً . وكان الأمير حسين كامل
(السلطان حسين) حاضراً فسمع ما قيل في أبيه من الشتائم والسيباب
وقد ظهر أثر ما حدث في هذه الحفلة عند شوق حيث يقول .

أوسعتنا يوم الوداع إهانة أصب لمرك لا يصيب مثيلا

يلم أن مبارك الرافعي العتيقة ما زال يرن صداها في آذان جماعة من ذوى السلطان والجاه والكلمة في السياسة والأدب . ورغم ذلك فأنا إن أقدم عن أن أيدل جهد الطاقة على صفحات الرسالة إن شاء الله - ، في سبيل تحقيق الغاية التي نشدها جيما غلمين لوجه الوطن والأدب .

وبعد ، فاني أطمع أن يرن صدى صوتي في أرجاء الارض فيستجيب له اخواني في مصر والأقطار العربية ، وأطمع أن يكون الزمن قد مسح بيده الرقيقة على قلوب ذوى السلطان والجاه والكلمة في السياسة والادب فنسوا مبارك وعتية نشبت بينهم وبين الرافعي ، فلا يجدون - الآن - عضاضة في أن يمتروا بمكانته السامية في الأدب والم

(٣)

وقرات في الممدد ٨٦٢ من الرسالة خطاباً إلى من الأديب احمد محمد فرغلي عثمان بأسويوط قال فيه « قد أطلعت على مقالك المنون بمحاكاة أب في الممدد ٨٥٨ من الرسالة ... ولما انتهيت إلى قولك : (والآن ماذا ينتج في قوادك الخ) لم ترقى خاتمة على هذا النحو ؛ لأن القارئ يميل إلى أن يعرف نهاية القصة بأسلوب تروح اليه نفسه ويطمئن قلبه وتسكن عنده خلجاته ، وأنت قد أهيمت مصير حياة الرجل فلم تعرف . أنتخاذل امام الحزن نملك .» إلى آخر ما جاء في عبارته

لا عجب - ياسيدى الأديب إن انا ختمت قصة من الحياة بأسلوب لم يطمئن له قلبك ولم تسكن عنده خلجات نفسك ، فانا أنا - سوى مصور يصور لوحة من الطبيعة جذبت قلبه بروعتها ، وسيطرت على لبه بروعتها ؛ فرسمها بريشته ؛ ونثر الألوان على نسق ارتضاء فنه ، ووزع الظلال على طريفة اطمأن لها خياله ولكنه رسم لوحة من الطبيعة . أو أنا قاص ينشر حادثة من الحياة انفلت لها نفسه وتأججت لها عاطفته واضطربت مشاعره ، فسكبها على القرباس في أسلوب رضى عن قوة سبكه فيه الحياة والحركة ؛ ولكنه قص حادثة من الحياة . والقصة في الحياة حلقة من سلسلة الحوادث لها ما قبلها ولها ما بعدها . فانا كان لي أن أرسم حدوداً ضيقة للمصورة التي أكتب نخبو في رأى العين محدودة مبتورة ، وتبدو في رأى العقل في منأى عن الحياة والحركة

الافى مثل الشرق والإنسانية المليا »

هذا كلام قرأت فيه الروح الوثابة الطاهرة والنيرة الجياشة النقية ، والمقل الحصيف والقلم الرصين . وقرأت فيه نداء حاراً قويا يدفع إلى غاية سامية رفيعة . فشكرت لصاحبه غيرته على الأدب الرفيع أن تنطمس معالمه في ثنايا الزمن ، وأثبتت على إشفاقه على حقبة من تاريخ العقل المبدع أن تلتف في مطاوي النسيان ، وحدث له الثقة الغالية التي حبانى بها حين اختارنى - من بين صحاب الرافعي - لأستطلع بهذا العمل الجليل ، وهو عمل ينشط له القلب وتهفو اليه الروح

هذا ، وإن ما قيل في الرافعي - بعد وفاته - ينشطر إلى قسمين : ما قيل في الربوع المصرية ، وأكثره بين أيدينا لا يتقصه إلا أشياء ضئيلة : لا يحتاج جمعها إلى عناء ولا يتطلب الشور عليها كبير جهد أما ما قيل عنه في الأقطار العربية ، فهو كثير متناثر لم أجمع منه إلا شذرات يسيرة وقمت لى عن غير قصد ولا تعمد ، لهذا فانا أقدم إلى اخواني الأديباء - في مصر والأقطار العربية - بمن كانوا يعنون بأدب الرافعي ويحفظون بآثاره ، أن يفضلوا فيرسلوا إلى كل ما وقع تحت أيديهم من كلمات قيلت في الرافعي بعد وفاته ، سواء أكانت شمرأ أو نثرأ .

أما الاقتراح الثانى ، فهذا عمل اضطلع به كبير من أديباء الشباب هو الاستاذ محمد سميد المريان ، وهو قد عاشر الرافعي زماناً طويلاً وتقلل إلى حياته الخاصة ، ولصق به سنوات وسنوات يأخذ منه ويمطى ، ويجلس اليه في خلوته ، ويراى في مجلس قراءته وفي محراب كتابته . واستطاع بعد ذلك ، أن يكتب بقلم الخبير الطلع - كتاب (حياة الرافعي) وهو سفر جليل قد يتحدث عن حياة الأديب الكبير في صراحة وحق . ولقد قطع الاستاذ سميد في هذا العمل شوطاً بعيداً . وأظنه نشر كل مؤلفات الرافعي سوى « حديث القمر » و « تحت راية القرآن » و « على السفود » و « ديوان الرافعي » وما كان لي أن أفنت على حق صديق عزيز على نفسى هو الاستاذ سميد المريان

أما الاقتراح الثالث ، فانا ارفع الكاتب الاربى عن أن يجيد التيارات الأدبية والسياسية التي لا تنورع عن ان تجرف مثل هذا الشروع بين امواجهها المتضاربة . ولا ريب في أن الكاتب الذكى

شركات الذهب الأسود في الشرق الأوسط

للاستاذ فؤاد طرزي

عندما أعلن في شهر ديسمبر من عام ١٩٦٦ أن شركتي نفط (ساندر) (وسكوي تاكوم) ربما من الشركات المساهمة في شركة النفط العراقية تنويان المساهمة في شركة النفط العربية في المملكة العربية السعودية بمد أن عقدنا صفقة شرائية مع شركة النفط البريطانية الأردنية ، استرعت مسألة اسلوب الاشراف والسيطرة على جميع نفط الشرق الأوسط انتباه الجمهور، إذ أن هذا الاسلوب الذي كان ينظر إليه غالباً على ضوء قوة سياسات النفط صار يقوم بصورة مباشرة على ضوء اعتبارات اقتصادية تتصل بالانتاج والتوزيع .

ولذلك يبدو لنا أنه من الضروري لتقدير مجرى التطورات المستقبلية كذلك التي سبق الاعلان عنها أن نفهم أولاً كيف تمت السيطرة على نفط الشرق الأوسط ومن هي تلك الدول المشتركة في السيطرة ؟ ثم نعرف ثانياً نوعية الضغط الاقتصادي الذي يدفع إلى اجراء تحول أسامي في طريقة السيطرة على انتاج النفط وتوزيعه . كان انتاج الشرق الأوسط جميعه من النفط حتى تاريخ منح المملكة العربية السعودية امتياز استخراج النفط في أراضيها الى شركة النفط الاميركية العربية (ارامكو) عام ١٩٣٣ خاضعا لاشراف الجماعة المعروفة بشركة النفط العراقية ، ولا تزال هذه الجماعة تقوم بهذا الاشراف سواء أ كان ذلك مباشرة أم عن طريق الفروع ، أو بقاوات امتياز متنوعة ، ويشمل الاشراف هذا

عبرة وعظة « فهو أنكر أن في الحياة النابضة عبرة وعظة، وأنكر أيضاً - أن في الشارع عقاباً صارماً قاسياً هو أشد وأنكى ما تمى به مائة كانت تمشي - يوماً ما - في كنف الزوج آمنة مطمئنة . لا يا سيدي الكاتب ، أنا لا أوافقك في الرأي ، وستجدني - إن شاء الله - على حق
طامل محمود ميب

وإن أنا نزلت عند رأي القاريء العزيز ، اضطر قلمي أن يختم نهاية القصة بخيال يصيغها بسبغة شوهاه مصنوعة لا يستعينها عقل ولا يقبلها وأى ، وأرغمت نفسي على حوادث ملفقة لا تنبض بالحياة ولا تخفق بالحركة ؛ على حين أنني أصور أناساً يعيشون بيننا وما تزال أشباحهم تتدافع على مسرح الحياة لم . يبلغوا النهاية بمد وهكذا يريد القاريء أن يدفني إلى أن أفكر بعقل رجل كيوسف وهي يوم أن كان هو الممثل الأول في مصر يوم أن كان يريح النظارة من عناء التفكير في نهاية القصة فيقذف بأبطاله جميعاً إلى النهاية المحتومة ، فيقتل اليمض ، ويألق باليمض في البم ، ويقذف باليمض في نار بضطرم أوارها . هذا عطر من القصة عفت على آثاره معالم القصة الحديثة التي تتطلب من الكاتب أن يشرك القاريء في حوادث القصة ليشر بأنه يؤلف بمض فصول الرواية .

أفد سأل الكاتب الأرب - في كلمته القصيرة - تسمية أسئلة أتلفت جميعاً صدري ، لأنني أيقنت بأن القاريء يشاركني في الخاطرة وماورني الرأي ، وهذا هو ما يهمني . أما أن حادثة من الحياة تروق القاريء أولاً تروقه فهذا مرجعه إلى ذوقه ورأيه وثقافته فحسب

(٣)

يدفني الحديث في هذا الموضوع إلى الموراء قليلاً ... إلى العدد ٨٥ من الرسالة ، يوم أن كتب إلى الأخ عطية فنون بدمياط يقول : « قرأت ما كتبتة بمنوان (زوجة نهار) فأكبرت بلاغة أسلوبك .. حتى انتهيت من القراءة إلى كلمة : (يا لقصاص) . فلم تعجبني خاتمة كلمتك لأن القاريء يود أن تكون نهاية الخاتمة أشد وأنسكى من أن تعارد إلى الشارع . كيف واجهت الشارع ؟ أجرى الذئاب وراهها ؟ أم مازالت حية تتمرغ في الأحوال ؟ .. أم ماذا صنعت وصنع ؟ إن لم يكن حقيقة تخيلاً ، لتكون عبرة وعظة »

وأعجب ما في هذه الكلمة قول الأديب « لأن القاريء يود ... » والأديب عطية نفسه يعلم تماماً أنه لا يعني ما يود القاريء بقدر ما يعني أن أعرض صورة فنية صادقة من الحياة لا أتثبت فيها بخيال ولا أزور حادثة . ونسى الكاتب الأديب أنني أستوحى الحياة فحسب فقال « إن لم يكن حقيقة تخيلاً ، لتكون

تعتبر نفسم اشركة بريطانية تخدرا لافراض الدبلوماسية والانبجاهات السياسية. وهى كشركة ستاندردى نيوجرمى تدبر صناعة النفط فى قسم واسع من العالم وتسيطر بالإضافة إلى مصالحتها فى شركة النفط العراقية على مجموع الانتاج فى الهند الشرقية الهولندية وتانى فى المرتبة الثانية بين منتجى النفط فى قنرويليا بامريكا الجنوبية كما أن لها فرعا يتمثل فى شركة اميركية تمد من أعظم شركات النفط فى الولايات المتحدة. وشركة «شل» تفوق، من حيث الأهمية، دكلاء النفط فى رومانيا، وهى عملا أيضا مراكز إنتاج لما أهميتها فى أماكن أخرى فى أوربة واميركة الجنوبية؛ وإن مدى نشاطها فى أسواق العالم واسع جداً، فهى كشركة ستاندردى فى نيوجرمى تسيطر على معظم صناعة النفط الفنية الحديثة.

أما شركة النفط الفرنسية فأنها تستخدم كأداة للسياسة الوطنية الفرنسية، مع أن الحكومة الفرنسية لا تملك سوى ٣٥ ٪ فقط من أسهمها، أما الأسهم الباقية فيملكها المستثمرون الفرنسيون وموزعوا النفط الفرنسي، كما أن بعض شركات النفط الأجنبية التى تعمل فى الاراضى الفرنسية تملك جزءاً من الاسهم، وتشبه علاقة هذه الشركة بالحكومة الفرنسية إلى درجة ما علاقة شركة النفط البريطانية - الإيرانية بالحكومة البريطانية إلا أن عملياتها أقل اتساعاً لأنه لم يكن لها إنتاج حتى إلى وقت قريب ما خلا حصتها فى شركة النفط العراقية وبعض إنتاج لا يؤبه به فى فرنسا. وقد حصلت مؤخراً على بعض الحصص فى قنرويليا الشرقية، وهى حصص يؤمل أن تصبح فيما بعد موارد فينا من موارد الإنتاج يضامى ما تأخذها من شركة النفط العراقية.

وفى يتماق بشركتى ستاندردى فى نيوجرمى وسكونى فا كوم فهما شركتان متناقستان داخل حدود الأراضى الاميركية، ولكنهما شركتان متعاونتان فى المناطق البعيدة. وهاتان الشركتان من أوسع المؤسسات النفطية المروفة، فلهما علاقة على مصالحتها المشتركة فى شركة النفط العراقية، ومساهمتها المشتركة فى شركة النفط العربية الاميركية، وملكيتها لاتفاقية شراء النفط الخام من الشركة الإيرانية، منظمة تعرف بحكونى فا كوم، تدبر جميع عملياتها فى شرق الخويس إدارة مشتركة. وهنوم الشركتان بإعمال الانتاج والتصنيع والبيع أما جهودهما فى نصف الكرة الشرقى فهنم معددة

المراقية وسورية وفلسطين وشرق الأردن وسواحل الامارات العربية ابتداء من الخليج الفارسى، ثم حول راس شبه الجزيرة الجنوبية التى تدخل عدن ضمنها. وهى مقسمة إلى أربعة أقسام متساوية تتقاسمها شركة النفط البريطانية الإيرانية المحدودة وشركة «شل» الهولندية الملكية، وشركة النفط الفرنسية وشركة نفط الشرق الأردنى وهى فرع عمليكة بالتساوى شركة ستاندردى نيوجرمى، وشركة سكونى فا كوم. ولكل منهما حصة تبادل ٧٥ و٢٣ بالمئة، ويملك الخمسة فى المئة الباقية السرمى. اس. كالبتكيان عن طريق شركة خاصة تدعى شركة المساهمة والاستثمار المحدودة. وقد منحت حصة المترك كالبتكيان تقديراً لخدماته فى مفاوضات الحصول على امتياز شركة النفط التركية الأصلية التى كانت تدبر الامتياز سابقاً قبل أن تحصل عليه شركة النفط العراقية. وشركة النفط - البريطانية - الإيرانية منظمة مشتركة تشرف على الاملاك والمالغ التى كانت تملكها شركات «درامى» قبل الحرب المالية الأولى. وتتملك الحكومة البريطانية ٥٢ بالمئة من جميع ممتلكات الشركة، ولها حق تعيين مديرين عامين اثنين للشركة يتمتقان بسلطة اعتراض مطلقة على قرارات الأربعة عشر مدبراً المنتخبين من قبل اصحاب الاسهم الباقين. ولا يتم اللجوء الى هذه السلطة فى الأعمال المتعلقة بإشغال الشركة التجارية، ولكنها تستخدم فقط فى المسائل المتعلقة بالسياسة العليا والملاقات السياسية. وعلى كل فن المفروض عملياً أن شركة النفط البريطانية الإيرانية تعمل وفق رغبات الحكومة البريطانية بشكل لا يتعارض والملاقات القاعة بين شركات النفط الاميركية وحكومة الولايات المتحدة الاميركية.

وتجربى معظم عمليات انتاج شركة النفط البريطانية - الإيرانية، ما عدا بعض النشاط الوطنى الأزلنى فى المملكة المتحدة نفسها. وتعتمد هذه العمليات امتداداً محدوداً فى الشرق الأوسط أى فى إيران والكويت ومناطق شركة النفط العراقية. وإن أسواقها تنطى نصف الكرة الشرقى، ولذلك فإنها معدودة فى مصاف شركة ستاندردى فى نيوجرمى وشركة سكونى فا كوم، وتعتبر من بين الشركات الكبرى التى تبيع النفط فى أسواق العالم. وشركة «شل» الهولندية الملكية هى نوع من أنواع الاندماج بين المصالح البريطانية والهولندية من الوجهة المالية، إلا أنها

القانوني الأميركي . وعلى كل حيننا يلاحظ أن الأطراف الموقعين على الاتفاقية يؤلفون شركات النفط الأربع الكبرى بين الشركات المالية التي تسيطر على أسواق نصف القارة الشرق وعلى الأسواق الفرنسية العامة ، يتضح أن النصوص موضوعة لاجتذاب المنافسات

ويطلب من الموقعين على الاتفاقية الحصول على تجهيزاتهم من المنطقة المحدودة بأسعار التكاليف الحقيقية تاركة فقط ميدانا ضيقا يتحرك في التوزيع النسبي كمناطقة لصالح المنافسة في الأسواق . ويبدو أثر هذا النوع من اتقاء المنافسة في اتفاقية شركة النفط المراقبة حين تصبح المنطقة المحدودة موردا دائما لتجهيز مناطق الاستهلاك الهامة .

وقد أبلغ الشركاء الأميركيون في شركة النفط العراقية شركاءهم في أواخر سنة ١٩٤٦ أن من رأى مجلس الإدارة اعتبار اتفاقية الجماعة باكلها ملغاة ، وباطلة وذلك عملا بنصوص القانون البريطاني ، وأنهم وفق القانون الأميركي وحسب السياسة المتبعة ليسوا مستعدين لاعادة تصديق الاتفاقية دون حذف النصوص التقييدية . ومن المعلوم أن الشركاء ماعدا كالبنيكيان قد اتفقوا على صيغة جديدة تحدد حقوقهم ومسؤولياتهم المقابلة بغير ادراج الفقرات التقييدية: وتنتظر هذه القضية الآن في المحاكم البريطانية وينتظر الاعتراف بملكية المصالح في شركة النفط الأمريكية - العربية بنتيجة الفصل في هذه القضية، لأن شركة ستاندرد وسكوني فاكوم لا تملك حرة الحصول على حصة في شركة النفط الأمريكية - العربية إن كانت الفقرات التقييدية لا تزال نافذة المعمول .

وقد دخلت ثلاث شركات أميركية فردية أخرى - وهي ستاندرد في كاليفورنيا وتكساس وشركة نفط الخليج - في أعمال استثمار نفط الشرق الأوسط عن طريق شركة النفط العراقية ، والشركتان الأولى والثانية ممثلتان في شركة النفط الأمريكية ، وتملكان بالاشتراك امتياز استثمار النفط في جميع البلاد العربية السعودية باستثناء الأماكن المقدسة والمنطقة الجيولوجية الجدياء في القرب . وهاتان الشركتان تملكان أيضا ، كشركة البحرين ،

بل هي على الأغلب جهود متنافسة . وتنشط المنافسة بينهما في أوروبا وإفريقيا الغربية والشمالية وقد تنعدم في أحيان أخرى .

وإن شركة ستاندرد دائما هي الشريك الغالب ، إذ أن عظمة عملياتها تتجاوز الخيال . ففي فنزويلا وجدها تنتج من النفط ما لا يقل عن ثمانية أضعاف ما ينتجه اليوم جميع المنتجين في رومانية ومع ذلك فنتيجة النفط العالمية الجبارة هذه لا تزال طفلة تخبو في الشرق الأوسط ، لأن كل نشاطها معصور في حصة أقل من الثمن ممثلة في مساهمتها في شركة النفط العراقية وصاودة بـ ١٥٠ ألف برميل يوميا من الإنتاج . وهذه الحصة تكون أقل من ١٥ المئة من مجموع الإنتاج في الشرق الأوسط ومن مجموع إنتاج شركة نيوجيرسي في العالم .

والشركات المذكورة داخلة في شركة النفط العراقية وذلك بموجب اتفاقية داخلية عقدت في ٣١ يولية سنة ١٩٢٨ وهي الاتفاقية المروفة باتفاقية الخط الأحمر . وهذه الوثيقة تمد بمثابة تعهد بوضع حقوق ومسؤوليات الشركاء الموقعين عليها من الناحية القانونية سواء بين بعضهم البعض أو بينهم وبين الشركة التي تضمهم . وإن نصوص هذه الاتفاقية التي لا يعرف عنها إلا القليل ، تنص على مساهمة في النفط تبلغ نصف المساهمة في الربح ، وتضع قاعدة مؤداها أن الشريك غير القادر على إستخراج حصته من النفط يخرسها دون عوض مقابل استخدام رأس المال خلال المدة التي لا يدر فيها ربحا . وتنص النصوص الصريحة التي تدعى - (الفقرات التقييدية) أو (انكار الساطة الذاتية) والتي سحبت بموجبها الاتفاقية المروفة - (اتفاقية الخط الأحمر) على أن شركة النفط العراقية هي الوكيل الوحيد للشركات المؤسسة على أن لا تعمل بموجب ذلك على انفراد ، بل أنها تنوب عن الجماعة في المسائل المتعلقة بالحصول على الامتيازات واجراء عمليات الشراء وبيع النفط والتصنيف المحلية . وقد وضمت هذه النصوص الشاملة لمنطقة جرى تحديدها بخط أحمر لتطبق بعد الحرب العالمية الأولى أترسحق الامبراطورية النمانية .

ويتضح من فحص الفقرات التقييدية لاتفاقية الجماعة المطلقة بمنطقة الخط الأحمر أنها تقع ضمن التقييدات الاستثنائية التي تجاوزتها المحاكم البريطانية ، والتي نخلصت أحيانا من رقابة البدا

٤ - إطلاق السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما يجمع اليوم من طوائف المجتمع كالحداين والنجارين والبنائين وغيرهم من كل ذي حرفة .

وقد فتح باب المناقشة في موضوع المحاضرة عقب إلغائها ، فأثنى عليها معالي الأستاذ لطفى السيد باشا رئيس المجمع ، وكذلك أبدى بعض الأعضاء كالدكتور طه حسين بك والدكتور أحمد أمين بك إعجابهم بها . واقترح معالي السيد محمد رضا الشيبى أن تطبع المحاضرة وتوزع على الأعضاء قبل المناقشة حتى يمكن لكل عضوان يبدى رأيه في ضوء مقراء ، لأن طريقة الارتجال لا تؤتي الفائدة المرجوة من البحث والدراسة . وتناقش بعض الأعضاء موضوع الاقتراح في المحاضرة مناقشة طالت بعض الوقت ولكنها لم تنته ، فقرر المؤتمر أن توزع المحاضرة على الأعضاء وتحدد جلسة لمناقشتها في نهاية الفترة المخصصة لانقاد المؤتمر .

ومما جاء في المناقشة ملاحظات أبداها الدكتور أحمد أمين بك أجملها في ثلاث نقاط : قال في الأولى ، إن الأستاذ رأى أن يفتح الباب على مصراعيه ، وأنا أرى أن يفتح جزء من مصراع واحد فقطح الباب على مصراعيه معناه الفوضى ، وأنا أجزى الحرية ولا أجزى الفوضى . وأنتى أرى ألا يطلق الخلق إطلاقاً ، بل يقصر على من يكون مستوفياً لشروطه . وقال في الثانية إنى أحب أن أضيف إلى مقترح الأستاذ فى الخلق مقترحا آخر فى الإعدام ، فكما نبيح للأمة العربية أن تخلق ما تحتاج إليه من الألفاظ ينبغى أن تكمل الشرط الثانى من الاقتراح بأن نبيح لها أن تعدم ما لا حاجة بها إليه . النقطة الثالثة أن الأستاذ عرض فى أثناء بحثه لمسألة هامة لم يدرجها فى مقترحاته الأربعة ، وهى مسألة كتابة القرآن ، والحق أننا مجرمون أشد الإجرام فى المحافظة على رسم القرآن لأننا نفترض أن من يقرأ القرآن يجب أن يكون قد حفظه أولاً .

وقد رد الدكتور طه حسين بك على هذه النقاط ، بأنه يخالف الدكتور أحمد أمين فى الحد من الحرية والفوضى ، فقد تحمسن الفوضى فى أمور منها اللغة ، فالعرب الأول لم يسيروا على نهج فى لغتهم كما ساروا على هذا النهج الذى يسميه الدكتور أحمد أمين بك فوضى ولم يعرفوا مجيماً لتوا يحدد حرية الناس فى وضع اللغة ، وليس عمل المجمع إلا المحافظة على سلامة اللغة بتسجيل ما تراه يصلح للغة ولا يقصد ما تم تدخل هذه الألفاظ فى السجم .

الدفتر والنفط فى الأسبوع

للاستاذ عباس خضر

حول محاضرة الأستاذ الزيات فى مؤتمر المجمع

أطلع قراء «الرسالة» فى الأسبوع الماضى المحاضرة النفيسة المتممة التى ألقاها الأستاذ أحمد حسن الزيات فى مؤتمر مجمع قواد الأول للغة العربية منذ أسبوعين ، وأجمل تيجتها فى اقتراح يشمل أربعة أمور :

١ - فتح باب الوضع على مصراعيه بوسائله المروفة وهى الارتجال والاشتقاق والتجوز .
٢ - رد الاعتبار إلى المولد ليرتفع إلى مستوى الكلمات القديمة
٣ - إطلاق القياس فى الفصحى ليشمل ما قاسه العرب ومالم يقبوه ، فإن توقف القياس على السماع بطل معناه .

امتياز استثمار النفط فى جميع جزر أرخبيل البحرين فى الخليج الفارسى ، وأن شركتى «ستاندرد» فى «كاليفورنيا» و«تكساس» تعتبران من بين أعظم شركات النفط الخمس فى الولايات المتحدة ، إذ تمتد عملياتهما فى الخارج إلى الهند الشرقية الهولندية وإلى «غينيا الجديدة» التى لها فيها مصالح مركزية مشتركة فى إنتاج لا يزال فى طريق النمو ، كما أنهما تقومان بأعمال البيع والشراء فى شرق السويس ، وتشاركان فى السيطرة على سوق ذات أهمية فى أعمال شركة تكساس فى أوربة وإفريقية رغم عدم أهميتها بذاتها ، وتمهدان كذلك أعمال الإنتاج والبيع والشراء فى أميركا اللاتينية .

وشركة نفط الخليج ، وهى الشركة الأميركية الثالثة العاملة فى الشرق الأوسط مستقلة عن شركة النفط العراقية ، وهى تملك نصف امتياز شركة نفط الكويت . وأما النصف الآخر فتملكه شركة النفط البريطانية - الأردنية التى منحت امتياز استثمار جميع - نفط الكويت . وتعتبر شركة استثمار الخليج ، بالإضافة إلى أعمالها فى الشرق الأوسط ، منتج مهم فى فنزويلا ، كما أن لها أسواقاً للبيع والشراء فى أقسام أوربة المختلفة .

قواد لمرزى المحامى

كشكول الأسبوع

□ قرر مجلس الوزراء في جلسته الأخيرة إنشاء معهد فاروق للدراسات الإسلامية في إسبانيا - وقد جاء في المذكرة الإيضاحية التي أعدها وزارة المعارف ، أن الغايات المنشودة من إنشاء هذا المعهد هي إذاعة الثقافة العربية بوجه عام والمصرية على الخصوص بين الإسبانين ، وتعرف المصريين بإسبانيا والكشف عما بها من كنوز عربية لا تزال بعيدة عن أذهان العالم العربي وعقوله .

□ قررت وزارة المعارف المعدول عن النظام المعمول به للحصول على كتب الطالعة الإضاحية التي يختار من المؤلفات الأدبية غير المدرسية ، بحيث يكون تقرير الكتاب منها لعام واحد مع الاكتفاء بشراء نسخ منه بقدر عدد أكبر فصل في الفرقة التي يقرر لها من كل مدرسة ، ويكون استعمال التلاميذ له على طريقة التبادل ، ويؤول في آخر السنة الدراسية إلى مكتبة المدرسة .

□ اقترحت لجنة ترجمة أمهات الكتب العالمية في اليونكو ، تكوين لجنة في بيروت تمثل فيها البلاد العربية والجامعة السورية واليونكو ، لتقوم بترجمة عدد من أمهات الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية ، كما تقوم بترجمة عدد من الكتب العربية الفسفة إلى اللغات العالمية - وسيعرض هذا الاقتراح على الدول العربية وجامعتها لإبداء الرأي فيه .

□ تقرر أن تشتري وزارة المعارف من دور النشر الأهلية الكميات اللازمة من الكتب المقررة للمدارس الإبتدائية ، لتوزعها على تلاميذ المدارس الحرة .

□ أعلنت وزارة الشؤون الاجتماعية نتيجة مباراة التأليف المسرحي التي نظمتها في العام الماضي ، تقاز بالجائزة الأولى - وهي مائة وخمسون جنبها - الأستاذ محمود نجيم عن رواية « غرام يزيد » نشرت مجلة الإذاعة المصرية أن محررها تحدث إلى المشرف على قسم المحاضرات بالإذاعة ، فقال الثاني : إن الأحاديث التي تنافع تهدف إلى الغايات الكبرى التي تهدف إليها نهضتنا الاجتماعية والفكرية الحاضرة . ولما سأله المحرر عن أهم أحاديث الأسبوع أجاب بأنه حديث عن نشاط هيئة الأمم . - رحم الله هيئة الأمم وهدى إذاعتنا إلى الغايات الكبرى التي نهدف إليها ...

□ سافرت الفرقة المصرية في هذا الأسبوع إلى تونس لإحياء موسم تمثيل لمدة شهر ونصف شهر في شمال أفريقيا . وقد تلقت الفرقة قبل سفرها من حكومة تونس وريبتها في أن تقدم مسرحية « الناصر » لميز أباطه باشا ، فوافقت الفرقة ، وسيقوم بدور الناصر الأستاذ حسين رياض الذي تخلف عن السفر .

□ وافق وزير المعارف على إعتماد عشرة آلاف جنيه لمصروع إنشاء الفرقة التمثيلية لمصر بمسجد التمثيل .

□ وافقت الحكومة الأمريكية على تخصيص ١٥ ألف دولار لمصر ، تشتري بها ما تريد من الكتب ، وذلك وفقا لتوجيه هيئة اليونكو . وسيكون توزيع الكتب المنتزة عن طريق الإفادة العامة للثقافة بوزارة المعارف ، والأولوية فيه للجامعات والمعاهد العالية ثم الهيئات العلمية .

ورد على النقطة الثانية بقوله :
لست أعرف فردا ولا جماعة تملك سلطة الإعدام في اللغات ، وإنما أعرف شيئا واحدا يملك هذه السلطة وهو الاستمهال ، ولست أدري بأي حق يباح لنا أن نلغى من المعاجم العربية كلمات بسبب أنها لا ترائت ولا تجرى بها ألسنتنا في الوقت الذي نضع فيه ممجعا تاريخيا نسجل فيه جميع الكلمات التي استعملت في عصور العربية المختلفة ؛ ومن يدري فقد تحتاج الأجيال التي تأتي بمدنا لبعض هذه الكلمات .
أما مسألة كتابة القرآن فقد قال الدكتور طه إنه يوافق فيها الاستاذين الزيات وأحمد أمين ، واقترح أن يمهده إلى فضيلة الشيخ حموش بدراسة هذبة المسألة .

وقد أثار الأستاذ العقاد نقطة أخرى ، إذ قال تعقبا على طلب السنهوري باشا تخصيص جلسة لمناقشة المقترحات الأربعة ؛ كل هذه المقترحات عرضت على المؤتمر في دورات سابقة واتخذت فيها قرارات . فقال السنهوري باشا : يحسن أن تكتب السكرتارية هذه المقترحات وتبحث عما عسى أن يكون قد قرر في شأن كل مقترح منها وتمتد في ذلك مذكرة مختصرة تعرض على المؤتمر ليجبها وقد قرر المؤتمر ذلك وشرعت إدارة المجمع في إعداد قرارات المؤتمر

السابقة في موضوع المحاضرة .
والواقع أن المقترحات الأربعة لم يتخذ المجمع فيها قرارات على النحو الذي بسطه الاستاذ الزيات وكل ما هنالك أن المؤتمر في العام الماضي استمع إلى محاضرة -
للدكتور أحمد أمين بك موضوعها « مدرسة القياس في اللغة »
قرر بعد مناقشتها الأخذ بمبدأ القياس في اللغة على أن يكون الحق في ذلك لمن توافرت فيه شروط ذكرها المحاضر .
والأستاذ الزيات يرى أن أطوائف المجتمع الحق في أن أن يسمع ما يضمنونه من الفاظ يشعرون بحاجتهم إليها في شئون الحياة التي يمارسونها ، على خلاف الدكتور أحمد أمين الذي لا يميز الوضع إلا للماء اللثة .
وأذكر أن المؤتمر توقف في جلسة العام الماضي التي قرر فيها الأخذ بالقياس - توقف في مسألة الانجبال - وهي التي يتضمنها اقتراح الاستاذ الزيات الأول -
وخرج منها بإقرار القياس على وجه عام . وفي الملاحظة الأولى التي أبدتها الدكتور أحمد أمين على مقترحات الاستاذ الزيات ما يدل على أن هذه المقترحات جديدة في مجوعها ، بالنسبة لا أقره المجمع من قبل ، إذ قال إنها تفتح الباب على مصراعيه وأنا أرى أن يفتح جزء

يستدعى شوكت بك بيوى أفندى ويفضى إليه بالحقيقة الهائلة وهو مشف على الموت ويتبرع لابنته نبيل بمائة فدان . يجزع بيوى أفندى لهذا النبأ وبهم يقتل الطفل ، ولكن ضميره يقنعه بأنه مخلوق برىء لا ذنب له . فيحتضن الوليد وبوطن نفسه على الكتمان .

يكبر اللولان ، أما نبيل (فاخر فاخر) فشاب ماجن طاق وهو يحب الفت (إيفون ماض) بنت شكري باشا (سراج منير) صديق والده عن طريق شركة الساعات . أما زينات (فان حمامة) فهي بنت وديعة تتعلق بأبيها ، وتحب الدكتور كمال الذى عالجها من مرضها وهو يحبها ويريد أن يزوجه ، تمارض الأم في هذا الزواج لأن الدكتور كمال يطمئن إخوته في نسبه لأبيهم ، وترى أن مصاهرته لا تنفق وما أصبح للأسرة من مكانة بين الطبقة الراقية ويؤيدها في ذلك ابنها نبيل وشكري باشا وابنته ألفت التى تظن أنها لا يمكن أن تزوح من نبيل إذا تزوجت أخته من الشاب الطموح في نسبه . ولكن بيوى أفندى ينظر إلى الموضوع من زاوية أخرى تنفق وما يصطنعه مع نبيل ، فكل منهما ضحية خلية لا يد له فيها . فيض على تزويج ابنته له . وتنادى الزوجة وابنها في مراضتهما وعنادهما وتغاولهما على الرجل الطيب الذى يشور عليهما أخيراً ويحاجبهما بما يكتمه منهما ، ثم تنقاد الزوجة وابنها لبيوى أفندى ويعرفان فضله ومعروفه ، وتزوج زينات من الدكتور كمال .

القصة ذات موضوع إنسانى ، إذ تهدف إلى الدفاع عن ابن الخليفة الذى جرى العرف الظالم على الاستخفاف به لأمر بيد عن إرادته . وفي القلم عرض وتحليل لشخصية بيوى أفندى الرجل الخبير ، والصانع العصري الأمين القانع بالحلال ، وهنا تبرز ناحية قومية في القلم إذ يقارن بين بيوى أفندى الصانع البارع صاحب الدمة النقية وبين محل (الخواجات) الذى يبيع الساعات ويصالحها بأثمان فادحة ثم لا تلبث أن تتمطل . ويمجبن في يوسف وهى اعتزازه بمصربته وإيمانه بالشعب المصرى ، وقد كان قويا في التمثيل بهذا القلم ، إذ أدى شخصية بيوى أفندى أداءاً باهراً بنض النظر عن الملاحظات التى سيأتى ذكرها . واليب الأكبر في هذا الرجل أنه أبى إلا أن يكون مؤلفاً وأنه يعتمد في هذه

من مصراع واحد . وأريد أن أقول كلمة أخيرة في موضوع هذه المحاضرة : إنها صرخة الحياة في وجه الجلود اللغوى ، خياننا المصرية تعج بالأشياء التى لم تعرف العربية بأسمائها ، وقد سمينا (الأتومييل) سيارة ولكن بالسيارة عشرات الأجزاء لم تقرأ أسماءها اللفظية بمد فألى متى نستمر على حبس هذه الكلمات وأمثالها داخل الأقواس ؟ وإلى متى يظل الناس يستعملون الكلام خارج الحدود المعترف بها ؟ وإننا كان بين تدهام اللغويين - كما أشار إلى ذلك الأستاذ الشيبى في تلك المناقشة - من يرى أن جوهر اللغة ليس في مفرداتها بل في أساليبها وتراكيبها ، أفلا يجدر بنا في هذه الحياة المصرية التى امتلأت بالمستحدثات أن نتقبل ما ينطق به الناس من المفردات مع صقله وتهذيبه ، وحسبنا المحافظة على سلامة الجمل والتراكيب التى هى جوهر اللغة كما قالوا ؟

فلم السبع

هو فلم « بيوى أفندى » الذى يمرض بسببها استوديو مصر لتمثيل يوسف وهبى وأمينة شكيب وفان حمامة وسراج منير وإيفون ماضى وفاخر فاخر وغيرهم ، وإخراج يوسف وهبى ، والقصة والحوار له أيضاً ، وهى مقتبسة ومحصرة وأصلها رواية « الأب لبيونار » لجان إيكار .

بيوى أفندى مصطق (يوسف وهبى) ساعاتى يعمل في شبه دكان على أحد المنطقات بالجزاوى ، وهو رجل طيب مستقيم وماهر في صناعته أمين ، يعرفه أحد أصحاب مصانع الساعات بسويسرا وهو يزور مصر - من طريق صديق مصرى . قا يرى براعة الرجل في إصلاح الساعات وحسن ذمته حتى يمينه وكيلاه في مصر . وبذلك ينتقل بيوى أفندى من حال إلى حال ويصبح من تجار الساعات والجواهر الأغنياء ، ولكنه لم ينس زينة (أمينة شكيب) الخادمة التى كانت ترد عليه في دكانه القديم ، وكان يغازلها ويطلب منها أن تزوجه ، فلم تبطره النعمة ولم يغير الذى نفسيته ، فيتزوج من زينة دون أن يعلم أنها كانت على صلة بسيدتها شوكت بك وأنها حامل في الشهر الثانى . تضع زينة مولوداً ذكراً ، فيفرح به بيوى أفندى على أنه ولده الذى حملته أمه سبعة أشهر ، ويسمى المولود « نبيل » ثم يزوج الزوجان بمد ذلك بنتاً « زينات » ثم

لنفسه مواقف يشبع فيها خطابة وصياحا .. وقد ظلت أشاهده في دوره مندجاً معه بشهوري حتى جاءت مواقف الصباح فأفقت وشمرت بأنتي أشاهد يوسف وهي لا يبوي أفندي .. فأسقت لضياع التأثير الذي كان يمكن أن يستمر دون حاجة إلى هذه اللزمة التي هي عيب آخر في ممثلنا الكبير . وقد أجاد في الفكاهة واللطابة ، فكان ممثلاً (كوميدياً) ظريفاً ، ومن وسائله في ذلك ترديده بعض الأغاني القديمة ، ولم يكن في هذا بأس لولا أنه أسرف فيه وأكثرت منه إلى حد التكاف ، وحتى رسم ببعضها في موقف حزين مؤثر . وقد بدأ في أول الفلم وآخره على ما يتطلبه الزمن من ملائمة شخصيته للممر فكان (الماكياج) متقناً ، ولكن أمينة شكيب ظلت كما هي لم تنيرها عشرون عاماً ! وقد أجادت دور المرأة الشرسة التسلطة . وكذلك أجادت فنانة حماسة في دورها . أما إيضون ماضي فهي ذات وجه معبر على رغم أنها ظهرت على الشاشة لأول مرة في هذا الفلم . وأما فاخر فلم يكن في دوره على مستوى المعروف في الإجابة ، ولعل هذا راجع إلى عدم ملائمة للصور الفتي الماجين .

عجاس خضر

مجلس مديرية الفيوم

يقبل مجلس مديرية الفيوم عطاءات لفاية الساعة ١٢ ظهر يوم الاثنين ٣٠ يناير سنة ١٩٥٠ من توريد (١) الأغذية اللازمة للمؤسسين (٢) الفـازز والبغزين وزيت السيارات اللازم للمجلس وفروعه ويمكن الحصول على قائمة كل مناقصة على حده مقابل مبلغ مائة مسلم يضاف اليه مبلغ ثلاثين مسلم أجرة بريد وتقدم الطلبات على عرضحال دمة فئة ثلاثين ملياً ٣٩٦٢

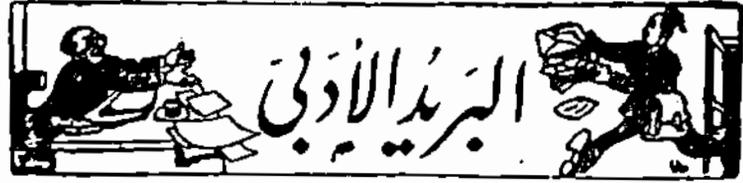
الأيام على مجهوده في المسرحيات التي أخرجها قديماً ، سواء في المسرح أو السينما ، وهذا الفلم نفسه أصله مسرحية طالما قدمها على المسرح حتى كانت منها خشبته . وهو يملن باعتباره مديراً للفرقة المصرية - أنه يعد يده إلى الكتاب ويرحب بما يؤلفونه من المسرحيات ، ثم يتخيل نفسه هؤلاء الكتاب ومد يده إلى يده ، ويرحب بنفسه !

وأعود بمد هذا الاستطراد إلى فلم « بيومي أفندي » فأقول إنه فلم قيم على رغم مافيه من فجوات ومآخذ ، ولعل قيمته راجعة إلى ظهوره في هذا الموسم الذي تتابعت فيه الأفلام الاستعراضية التهربجية ، فهو بالنسبة إليها عمل ينتسب إلى الفن ...

أول فجوة في الفيلم ناشئة من أن حادثته تستعصى على التفسير فليس من الواقع الكثير في بيتنا أن يصارح رجل زوجاً بسابق علاقته بزوجته وأنه أبو الولد الذي يظنه ابته ، ثم يظل الزوج على حسن علاقته بزوجته واحتضانه للولد وإعزازة رغم استبعاد الزوجة به وتناول الولد عليه . وليس اعتراف الوالد الحقيقي للطريق الوحيد لمحاولة التكفير عن ذنبه ، فإنه يمكن أن لا يهب به المائة الفدان على على أنها مكافأة لأمه على خدمتها السابقة ، أما الاعتراف والهبة على الطريقة التي في الفلم فيها صورة تحمل قيمة عالية ..

وقد رأيت مجباً في المحكمة الشرعية التي نظرت قضية الطعن في نسب الدكتور كمال فالفهوم مما يتبع في مثل هذا الموقف من الإجراءات الشرعية والقانونية أنه يطلب الحكم بعدم ثبوت النسب ويدافع الطعون في نسبه مدلالاً على نسبته ، ولكن رأينا الدكتور كمال يدافع عن نفسه بأنه شحية بريئة ولا ذنب له في وجوده ! والمحكمة ... أخذت بوجه نظره فحكمت بالبراءة ! ولست أدرى من أي شيء هذه البراءة ...

ومما يؤخذ على تصوير شخصية بيومي أفندي أنه ظل عشرين عاماً كالحمل الوديع ، تأمره زوجته فيطيع ، وبهره الولد الذي يتفناه فيفضي ، ويرى مع هذا وذاك من الثبل وكرم انطلق ألا يصارحها بالحقيقة ، ثم إذا هو ينتفض فجأة فيسحيل إلى إنسان آخر قوي يفرض إرادته .. فكيف يظل أكثر حياته - على طولها - هادى الطبع ضعيف الشخصية ، ثم ينقلب في آخرها أسداً يزجر ويبطش !؟ يخيل لي أن يوسف وهي أجرى الأمر على هذا النحو كي يهيه



إلى الأرواح المعاصرين

توفى أخيراً الشاعر على محمود طه ، وسكنت قيثارته إلى الأبد ، وراح الأدياء يتسابقون إلى تحبير المقالات ونظم القصائد في تمجيد ذكراه ، واطراء شعره ، فهو في كل ما يكتبون شاعر عبقري ، فقدمه الأدب العربي ، ومؤلفاته تمتحق العناية والدراسة ، وفي أكثر من مكان تعد دراسات مفصلة لشعره أينوى نشرها خدمة للأدب و « قياماً » بالواجب تجاه ألقيد

ولن يغضى عام حتى تموت الذكرى ويخمد الصوت ؛ وتلتصق كلمة « كان » بالشاعر الفذ ، ثم تمضى الأيام ، وتكر السنوات ، ويتطوى هذا الجليل كما انطوى على محمود طه ، ويأتي أسلافنا فلا يجدون عنه سوى آثاره الشعرية ، وتاريخ مولده ووفاته ، وربما لم يعرفوا عنه أكثر مما نعرف عن المتنبي وهو شاعرنا العملاق الذى التى ظله الضخم على عصور أدبنا كلها ، وإن كنا نجمل سيرته جهلاً شبه تام .

ولكن أخلافنا لن يمدرونا كما عذرنا قوم المتنبي ، فالفرق بيننا وبينهم هو الفرق بين القنبلة الذرية والسيف ... الفرق بين مقاعد الطائرات الرورية وظهور الخيل - ل .. الفرق بين القرن العشرين والقرن العاشر .. فا عذرنا ؟

لا إن نكون خدمناشاعرية على محمود طه ، بهذه القصائد الحارة التى نحييه بها ؛ فهى كلها ليست إلا تمبيراً منتعماً عن عواطفنا تجاهه ، ولن نخدمه بدراساتنا المفصلة لشعره ، فإذن طويل مديدا ؛ وسيأتى بمدنا آلاف يدرسون شعره الدراسة التى يستحقها . وإنما واجبنا الأكبر أن نتقصى سيرة حياته تفصيلاً دقيقاً نشترك فيه جميعاً - أبناء هذا العصر كله - فيحشد كل قواه كلها من أجل الأدب الذى نمزه ، ونتمن بقوة أثره فى أنهاض الأمم والسمر بمداركها وأحاسيسها ، وهو عمل لا يستطيع القيام به سوانا ولو جمعت المصور القادمة ذكاهما كله لما استطاعت النهوض به ،

ففى أيدينا نحن وحدنا المفتاح . نحن الذين مشنا مع على محمود طه ومنا من كان من أصدقائه المقربين ، وأقاربه ، ومعارفه ، ومنا من قبله وحادثه ، ومنا من تلقى منه رسائل طويلة أحياناً قصيرة أحياناً أخرى شخصية حيناً ، رسمية حيناً آخر ، ... ومنا من سمع عنه حكاية ، ومنا من قرأ عنه فى الصحف وحفظ شعره ، ومنا من يروى حوادث من تبطه بشعره . كلنا يعرف شيئاً من تلك الحياة ، والواجب الأدبى أن نجتمع معلوماتنا فى كتاب أو كتب ، فهل فينا من تهباً للقيام بهذا الواجب النبيل ؟ الجواب الحتمى المؤكد أننا جميعاً ذاهلون ... وأقول جميعاً وأنا أعلم أنه ليس من المستبعد أن يكون بعض الأدياء يفكر فى تأليف كتاب قيم عن الشاعر ، يمس حياته من بعيد ويلخصها فى ثلاثين صفحة أبرز ما فيها تواريخ وسنوات وحوادث كالتخرج والسفر إلى أوروبا ، وطبع الكتاب الفلانى ، ومعرض الفالج ... أما سائر الكتاب فمعرض شعر الشاعر أغلبه إعجاب ، وهو أمر يستحقه الشاعر إلا أن المؤلم أنه لا يفنى عن دراسة عميقة مفصلة لحياته العملية التى لولاها لما كتب وما تبنى .

إننى أقترح ، وأود لو كان لاقتراحى سدى ، أن تنشط لجنة من التحمسين لشعر على محمود طه إلى تقصى سيرة حياته بدقة وتفصيل ممتدة فى ذلك على ما يلي :

- ١ - الرسائل التى كتبها الشاعر طيلة حياته .
 - ٢ - يومياته الخاصة « إن كان قد احتفظ بسجل يوميات يمكن نشر جانب منه » .
 - ٣ - أوراقه الخاصة وقصائد التى لم تنشر .
 - ٤ - ذكريات أهله وأصدقائه المقربين ، عنه .
 - ٥ - السجلات الحكومية الرسمية وكل ما يتعلق به فيها .
- وقد يلوح أول وهلة أن هذه مهمة شاقة ، إلا أننا لو راجعنا سير حياة أدياء أوروبا رأينا أصغر أديابهم قد نالها ، فكيف نترك نحن كبار أديابنا ينطوون تحت غبار الزمن القابض ، ولا يتركون إلا كتبهم وحدها ؟ وكيف يتيسر لنا أن نهم آثارهم إن كنا نجعل سيرهم هذا الجهل المنجل ؟
- لقد آن لنا أن نؤدى ما علينا من ديون تجاه عبقريانا المطموسة . الا يكنى أننا تركنا « أبا القاسم الشابي » بضيع ويترك خلفه سيرة مجهولة يجعلنا أننا لا نعرف عنها إلا تاريخ بدايتها وانطافئها ؟ ا

ألم يحزن لنا أن نعرف من كل شاعر تفاصيل سيرته ، والظروف التي أحاطت بكل قصيدة تركها ، وعلاقاته بأسرته وأصدقائه وقرانه ، والحب الذي ملك عليه أحاسيسه

الم يحزن لنا أن نقرأ الرسائل الخاصة التي يكتبها كبار أدبائنا كما يقرأ الأوربيون رسائل شعرائهم ؟

ولم يفت الأوان بعد ، حتى بالنسبة لأبي القاسم الشابي الذي مات منذ ثمانى عشرة سنة بعد شباب قصر متمتر بالآلام العقلية والجسدية . فهو نشط متحمس واحد لشمره ، واتصل بمن كان يعرفه لأنقذ ما تبقى من ذكريات عنه وربما لازيبضع عشرة رسالة من رسائله يتحجف بها القراء المتعطشين ، ويرفع شهمة الكسل عن هذا العصر ... فن الحجل أن يكون كل ما نسله إلى الأجيال القادمة عن أبي القاسم الشابي حفنة من القصاصد البديعة !
أيها الماصرون ! لقد آن لنا أن نفيق من نومنا الطويل ، ونذكر ما علينا من المسؤوليات . بناد « انساه »

البرغم الحق للدكتور طه حسين بك

لقد تفرد الدكتور طه حسين بك بهذا الأسلوب القصصى في عرض حياة هؤلاء الأرقاء . وأعطانا صورة رائمة عن الجو النفسى والاجتماعى في مكة في فجر الإسلام . وما تعرضوا له من ألوان البلاء . وضروب الإيذاء في صبر ، وجلد ، وشجاعة ، ما تركهم تماذج فريدة في سجل التضحية والفداء . ولقد عرض الدكتور هذه الصور قوية . حية . مؤثرة . مثيرة ... ولكن لا حاجة إلى إطراء فن الدكتور في هذا المرض . وبقدر ما ييلنه من إشاعة الحياة في سورة . وتأثيرها . ولا إلى القول بأنها لون جديد في أدبنا الحديث نعتز به . بل خير لنا قدم من هذا أن يأخذ بيد القارىء حتى يبلغ به أعتاب هذا المرض ويخلى بينه وبين طرائفه وبدائمه حتى يتبها له أن يأخذ لروحه وعقله ما فيه الفناء . أنظر كيف يصور الدكتور ما قاسته أسرة ياسر ، من شدائد وأهوال ، وكيف صبت عليها المحن صبا فلم يتزعزع إيمانها . ولا خانها صبرها . ولا تخلى عنها جلدها . ولا فقدت أملها في الله : (... أقبل أبو جهل ومعه أصحابه . فرأى فرأى الناس أنطاعاً من آدم يسع كل نطلع منها رجلاً وقد ملئت ماء . ورأوا ناراً موجهة . ومكاري قد أسمى عليها . ورأت تلك الأسرة قد شد وثاق كل منها . وأتى ثلاثهم في جانب من الطريق كما يلقى الناع غير ذى الخطر . فلما بلغ أبو جهل وأصحابه مكان

المناب أمر فلما نه قوضوا بين يديه ياسر . وزوجته . سمية وابنه عمارة ... وألسنتهم لا تقتر عن ذكر الله . فألهب أجسامهم بالسياط ثم أذاقتهم مس النار ثم صب عليها قرب الماء ثم عاد فيهم سيرته مرة ومرة ثم أمر بهم ففطوا في الأنطاع التي ملئت ماء حتى انقطعت أنفاسهم أو كادت ثم ردم إلى الهواء . وانتظر بهم ففطوا في الأنطاع التي ملئت ماء حتى انقطعت أنفاسهم أو كادت ثم ردم إلى الهواء وانتظر بهم حتى أفاقوا وتسمع لما يتطاقون به بمدآن ناب إليهم شيء من قوة فإذا هم يذكرن الله ويذنون على محمد قال أبو جهل اسمية وقد بلغ منه الغيظ أقصاه : لتذكرن ألهتنا بجحر ولتذكرن عمداً بسوء أو لنموتن . تلى أنك لن ترى مساء هذا اليوم إلا أن تكفرى بمحمد وربه . قالت سمية بصوت هادى . متقطع قليلاً : يؤسالك ولألهتك ! وهل شيء أحب إلى من الموت الذى يريحنى من النظر إلى وجهك هذا القبيح ! هنالك نضاحك عتية وشيبة ابنارية وأخرج الخنق أبا جهل عن طوره فجمل يضرب بطن سمية برجله وهى تقول في صوتها الهادى . المتقطع : يؤسالك ولألهتك ، وتجن جنون أبى جهل فيطعن سمية بحرية كانت في بده فنشوق شهقة خفيفة . ثم تكون أول شهيد في الإسلام : يقول ياسر قتلها ياعدو الله ! يؤسالك ولألهتك . ويقول عمارة : قتلها ياعدو الله يؤسالك ولألهتك ! ليتلى قلبك غيظاً وحنفاً فإن رسول الله قد ضرب لها موعداً في الجنة . قال ياسر : أشهد أن وعد الله حق . ولكن أبا جهل لم يمهله وإنما يضربه في بطنه برجله فيشوق ياسر شهقة خفيفة ثم يصبح ثانى شهيد في الإسلام . قال عتبة بن زبيبة : فينبغى أن تطلق هذا الرجل وأن تخلى بينه وبين الحرية ليوارى أبويه) هذا لون من الألوان السامية المرعبة التي كانت مكة تديفها أسرة ياسر وبلال وصهيب وخباب ولم تستطع برغم هذا أن تبلغ منهم ما أرادت ربوات بالهزيمة وفازواهم بالنصر والخلود لقد استطاع الدكتور أن يخرج لنا من هذه الأطراف البعثة المشققة من الأحاديث عن هذه الشخصيات وهذا المهد كأننا حيا بكل خصائصه وسماته . فيا حبذا لو أخذ أدباؤنا صنع الدكتور تدرة فنظف بهذا التاريخ مجلوا ناماً حيا .

محمد هبى الحميد ابوزبير



أمسية الميلاد لدي الصعلوك لللكاتب الشيلي سلفادور رايسر

بملم الأديب سليمان على

—•••••—

كان يلبس بدلة سمرة أحمر اللون طويل الذيل ، وعلى أذنيه الشعر واين تقوم في أتران دقيق قيمة فخمة مريشة ، وفي هذا اللباس الرسمي التاريخي كان يرقص فوق صندوق الموسيقى . وكان أمامه على الدوام حشد من النظارة ، من الصغار والكبار ، مجتمعين حول العزف للتفرج عليه ، معجبين بالمهارة التي يتتبع بها أنغام الموسيقى المتغيرة ، في نشوة من الضحك من حركاته المثيرة .

وكان لوجهه قدرة عجيبة على الحركة ، ولم تنجب الطيبة مخلوقاً أشد دهاء في تعبيراته الناطقة ، وله هذه التروة من الحركات المضحكة ، وهذا الجسم الصغير العجيب المرن الذي تسكنه روح ذات حظ مماثل من المهارة والرغبة في بعث السرور والبهجة . وكانت الموسيقى ، وهي حياته الهائمة ، والحشد من النظارة ، كلها تجلب له التمتع ، فاذا جذبته طفل من ذبلة مرة ، لم يفضبه ذلك أكثر مما يفضب من الشمس التوهجة على حفاف الطريق ، أو من البقع التي يشحب لونها رويداً على ثوبه الأحمر الجليل . وكان سميداً ، وكان اسمه بيبي ، وكان بالطبع قرداً .

وفي بعض الأحيان تتحرك خلطه السوداء من فرط الحنين لوطنه ، كما لو كانت بفعل الريح . فيسمع مرة أخرى أغنية وطنه الغاب ، الصداح بالأطيار ، ويرى الفهد ينساب بين الأجم ، والنماسيح ترحف من الطين ، ويتنم عبير الأزهار الهائلة الدائمة التفتح في الحرارة الدائمة . وحينئذ يحرك ذراعيه الطويلتين ، ويتذكر كيف كان يتسابق فوق أعالي الأشجار ، أو ينزلق برشاقة على جذوعها المعمرة ألف عام ، ويذكر وفي قلبه وخزة تلك الكروم التي تنظم كالدانتلا بين أصابع الغاب الهائلة .

بيد أن هذه الأشياء ما كانت ثقلة إلا فيما يبدو ، فلقد كانت الحياة جميلة ولم يكن مستعبداً كغيره من القردة . كان يسافر في الطريق حراً مع سيده الذي كان صديقه كذلك . وإذا ما شعر بحاجة إلى الرياضة ، كان في وسمه دائماً أن يرقص على المنزف . وكان رقصه حقاً نوعاً من العبادة ، وكان القربان الذي يقدمه إلى ذكرباته عن الغابات الهائلة . ولم تسكن لديه رغبة للمودة إليها إذ كان ذلك معناه فراق سيده ، بيترسون الذي ، كان يعبده عبادة . ولم يكن بيترسون يمتاز بشيء . ولكنه كان في نظر بيبي يحتل مقام الإله . وكان ما يزال شاباً ، شديد الفحول ، عيناه متمبتان زرقاوان ، وشعره طويل جميل ، يميل للصفرة ، ولحيته مهملة . وكان رث الملابس ، يمشي مشية بطيئة منتظمة ، تلك المشية المألولة التي يشبهان من يدرك أن رحلته لن تكون لها غاية .

وكانت كل الطرق تعرف هذين الصعلوكين : الرجل الذي يحمل الصندوق ، وبيبي الذي إما أن يكون قابلاً على كتفه أو دائم الغفز في محاذاته ، وما كانا يمكنان طويلاً في مكان واحد ، فكل مكان يبلغانه كان نقطة وصول ورحيل مما . وفي الليل يتامان في جنبات الطرق تحت الأشجار ، ويفضلان دائماً جوار المياه ، عند نهر ، أو على الأقل عند فدير صغير .

وأحياناً يكون الجو قاتظاً ، وأخرى يكون قاراً . وكان بيترسون لا يابه لتقلبات الطقس ، أما بيبي فكان يكره البرد ، وفي الليالي الماصفة ، الداوية بالرياح ، كان يزحف تحت غطاء سيده الصوف السميك الذي كان يأتي به ويرمقه من تحته بمبتين قافتين لامبتين . وكان الرجل والقرد يفهمان بعضهما حق الفهم وكانا يتخاطبان بالإشارات البسيطة ، والكلمات ، والأصوات ، وكانا يشمران بتسلة غريبة وهما محوطان بوحدة الحقول الهائلة ، ووحدة الأرض نفسها التي تفوقها كثيراً ، كما يشمر الأخوان بأن كلا منهما ينتمي للآخر . وفي الظلام كان بيبي يمد يده الصغيرة الشمراء ، يلمس الثمة وهو يدرك أنه واجد في ملمس هذا الرجل النحيف الأبيض الأمان والحب .

كان بيترسون الإله ، وبقية العالم من رجال وحيوان ، وشجر وحقول وسما ، أشياء أبدعها من موسيق مزفه . فاذا ما بدأت كان بيبي يرقص ، جعلاً رجله يتبمان النغم في دقة ، يلقى بكلية

ووقف بترسون ساكنا لا يريم ، وطرفه معلق بالشجرة .
لم تكن شجرة حقيقية ، ولكنها صنعت بمهارة من الورق المقوى
والقماش ، غير أنها كانت في نفس بترسون محملة بالذكريات كأنما
ينبعث من أبرها صمغ الصنوبر من مسقط رأسه ، وكأنها تميل أمام
الرياح العاتية في تلك الخلدجان البعيدة ، حيث الوجوه القديمة
المحبوبة ، وقد حدثته الشجرة بلنتهم ، وهي تمس في رفق عبر
العين التي تنسل بينهم .

وكان يبني يرتمش على كتفه في تماطف . ومع أن الشجرة
المقلدة لم تكن تهمه في شيء إلا أن طول الصحبة هيا له سبيل
النفاذ إلى قلب سيده ، فأحس الآن بشيء غريب وحزين في أعماقه ؛
لذلك تملن بالسكتف المريض وأخذ يرتمش ، وأحس بحنين إلى
مسقط رأسه دون أن يدرك السبب .

« هلا تفضلت وأنت من هنا ؟ » كان الصوت المتكلم متقدماً
في السن حاراً ، وكانت صاحبه متقدمة في السن ذات حرارة
أيضاً . ورمقتها بمطف وقالت ثانية « من هنا ... هنا تماماً ... »
وهز بترسون نفسه وتبعها مجتازاً الجهو ودخل من باب
مفتوح . وكان في الغرفة التي دخلها سبي أبيض الوجه مستلق
على سريره في فتور . وأزل بترسون العزف عن ظهره ، وبدأ
بدير الذراع . وتدفق النغم منه في قوة غير متقطرة بينما ترددت
على حوائط المنزل أسداء وأصداء .

كانت نفس الموسيقى ، الفالس القديم الذي تردد مراراً
وتكراراً . بيد أنه كان هناك اختلاف . وكان يبدو للصموك أن
المعزف قد إيقاعه الميكانيكي المألوف وأنه لبي نداء عاطفته ، كأنه
آلة صنعت ليده بجرأة ... فشجرة عيد الميلاد تلك بثلجها الصناعي
المقلد ، وهذا المنزل الفسيح المضيء ، والقوم السنون الطيبون ،
والنلام الصغير ، جيمهم ، أدركتهم الموسيقى ، وكانت هناك
أيضاً ، الصور التي في قلبه : الغابات الشمالية والوجوه واللثة التي كاد
ينسى كيف يتكلمها .

وبينما كان يلعب كان يبني يقفز في سعادة ، وجلس النلام
المريض في سريره يصفق بيديه الضعيفتين ، وأخيراً انتهى الدور ،
وصكت المعزف .

وكان بترسون يهم برفعه إلى كفه هدهد ما وجد نفسه العرة

إلى الحركات المعقدة التي تثيرها، ولم يكن ذلك بدافع العمل فحسب،
بل بدافع من غريزته الحيوانية ، بشعور مبهم لكنه عميق ، نحو
الإخلاص لسيدته ونحو جمال المالم . وكان يرقص أحسن الرقص
عدد ما يكون أسعد حالاً وأطيب نفساً ، فيمبر بهذه الطريقة عن
شكره وعن فرحه لكونه حياً يرزق .

وفي غسق يوم ذهبي ، بلنا إحدى القرى . وكانت قرية صغيرة
ذات أربع راسيات يمتد على مدار الليل يرتد بين الأشجار بشدة
منازل فحسب . بيد أنه قبل أن يضع بترسون معزفه احتشد جمع
من الأطفال حوله . وكانوا يهتفون بمحبور لدى رؤيتهم يبني ، الذي
كان يماينهم بحركات وجهه ، ويأتي بحركات مضحكة ، وكلما
ازدادوا ضحكا ازداد سروراً . فلما صدحت الموسيقى ، نغمة ، مكهربة ،
كان في نشوة من الجهور ، ومالت قبته الريشة وهو يرقص ،
وأخذت ساقيه الضعيفتان تتحركان بسرعة تزداد شيئاً فشيئاً .

وأخذ الحشد يزداد ، وانضم إليه الآن بمض الكبار أيضاً ،
وكان بينهم شيخ حسن البزة يدخن غليوناً كبيراً ، وبطرق رأسه
مع الإيقاع الموسيقي ، وكان يرتق يبني بمطف وهو يرقص ،
وبترسون وهو يدير يد العزف كأنه رجل ييمت أمي قديماً ، ولما
انتهى المدر الثاني ، التيت بضم تقود في قبعة بترسون ، ولكنها
كانت قليلة ، فأهل الريف في كرمهم محتاطون . وبينما هو
يتأهب للذهاب أقبل الشيخ ذو التليون وحدثه قائلاً « لي حفيد
صغير مريض ، ولأن الليلة عيد الميلاد ، فاني أودع أن أقدم
إليه متممة فريدة ، فهلا قبلت أن تأتي وتلمب له ؟ أقصد بجوارقراشه
لكي يستطيع ان يرى القرد وهو يرقص ؟ »

فأطرق بترسون موافقاً ، فلم يكن يحب استعمال الكلمات إذا استطاع
إلى ذلك سيلاً . وانطلقا في الطريق معاً — حتى بلنا (فيلا) ذات
سقف أجرد ، تقوم بين دغل من الأشجار السامقة . ودفع الرجل
باب السور ، وتبناه في الممشى المبلط اللتف حول أحواض الزهر
المتلاثة حتى بلنا المنزل . ولما وصلا إلى السلم كان يبني يهمهم
بإصوات التطلع والتحمس ؛ بيد أن بترسون كان يمشى بعزم .
ولكنهما ما كادا يجتازان عتبة البيت حتى وقف كالماأخوذ . فقد كان
في منتصف الجهو الواضع الجنبات شجرة من أشجار عيد الميلاد
مشرقة بالأوار .

يرد عليه ثم رفع معزفه إلى كتفه ، وأخذ يبني النمسان في ذراعيه وكان على مقربة من الباب عند ما أبصر العينين الزرقاوين مرة أخرى وابتسمت له من بعيد ، وابتسم الوجه جيمه في ثنيات تصاعديه ساحرة . رشدت يد بيترسون على مقبض الباب ، وشدت عظامها حتى أصبحت بيضاء اللون . وجدت ملاعه وهي تعبر عن امسى بالغ ، وكان وراه هاد موع لم تذر . فهو الذي مضت عليه سنوات لا يعرف له سكوناً أبويه ، ولا طريقاً يفصله عن طريق . هو الذي الذي لم يكن له من رفيع سوى قرده الرائق ، أدرك فجأة أنه سوف يعرف الآن الوحيدة الحقة . شجرة صنوبر شمالية معلق بها أنوار ، عينان جميلتان ، والمرّة الأولى الالوعة الكاملة للفراق ... وأحى رأسه ، بشكل مضحك . لقد كان يقول كلمة الوداع .

وفي الخارج ، كانت ظلال مكدسة وسكون وسما معلق بها أنجم هائلة منددة . وأغلق الباب خلفه ووقف على رأس السلم وهو يرسل الطرف في قلب الليل . كان وحيداً ، وسيكون وحيداً أبداً . دان تنتظره أنوار في نهاية الطريق ، والطريق نفسه لا نهاية له . زل أول سلمه ، ثم وقف فجأة . لقد فتح الباب مرة أخرى ، والتفت فبرأي ، العينين الزرقاوين ، والقاسية الطويلة الرقبته ، وقد تحدد قوامها وهو يومض بين إطار الليل المظلم . وتقدمت في تردد ومدت يدها . وقالت « ساعبي . لقد رأيت ... هنالك ... هل في الأماكن أن أم لك يد الميونة بأى سبيل ؟ » وجد بيترسون في مكانه برهة ، ثم أخذ اليد الممدودة اليه في بطء ، ولسها بشفتيه ثم تركها تسقط ، ووقف الجسم اللامع ساكناً في فتحة الباب ، والضوء يكال شعره كأنه السنة الذهب الصغيرة ، وانتزع نظرتيه بعيداً وأسرع في النزول من السلم وأغلق الباب أخيراً واسكنه لم يبطئه من خطواته ، وكان يكاد يجرى حين بلغ قاعة الطريق . والتفت ذراعاً يبي حول رقبته وقرعت اجراس الكنائس إيداناً بصلاة منتصف الليل

محمد سليمان هلي

المهندس

الثانية ذلك المساء في غيبوبة من الماطفة ، قد هاجته وامسكت به ، وقد توقف ذراعاه في حركة صموده ، وعيناه محمقتان ، فن فوق رأس الشيخ كانت عينان في زرقة البحيرات الشمالية ترنوان إليه ، عينان ساكنتان هادئتان ، مايلتان بحنان لا يمتل . وتقدمت امرأة طوال ذات حسن وجمال وهي تبتم ، وربت على رأس يبي . وقالت إن الموسيقى كانت لطيفة جداً ، أفلا يمكنهم البقاء واللب أمام ضيوفها قبيل منتصف الليل ؟ ويمكنهم في نفس الوقت أن يستريحوا ويأكلوا في المطبخ . وأطرق بيترسون إطراقة خرساء . وأخرج دون أن يجرؤ على النظر مرة أخرى .

وبعد بضع ساعات ، حينما عادوا إلى البهو كانت الشجرة متلافة كسما صائفة بالليل . كانت مئات الشمعات تهرق على أعصابها ، وحولها لفيق من الناس يتكلمون ويضحكون كانوا يتنادون بالأسماء في ثقة كأنهم بذلك ينطقون بكلمة السر التي تسمح لهم بالدخول إلى وليمة الحياة . وكان الجو المرح ، مرح القلوب المتألفة ، يتدفق كالغيم التائق فوق رؤوسهم ، ولم تلمس بيترسون الومضة المتألفة ، وأحس أنه مطرود كليل . وظن لحظة أنه رأى العينين الزرقاوين اللتين أرتا فيه كل هذا التأثير ، ولكنهما غابا ثانية . وأنزل المزف باحتراس في أحد الأركان وانتظر الإذن بالمزف .

وسرعان ما أعطاه الشيخ ذو الغليون الإشارة . وصحا يبي الذي كان ممسكاً بلحيته وهو نسمان يدافع الخوف من صوت الموسيقى وفتز على سطح المزف . ولكن لم يلق إليه أحد بالاً . فقد بدأ الناس يرقصون ، رقصة الفالس على إيقاع الموسيقى ، التي كانت تنبث في اضطراب من المزف القديم ، وهم يفتنون بصوت أعلى من صوته التكمير ، في حبور وانشغال حتى أن أحداً منهم لم يدرك متى انقطع عن المزف . وتراجع بيترسون إلى ركنه ، وهو من ارتباك لا يستطيع معرفة السبيل إلى الخروج .

ودوت في الفرقة أصوات اجراس كنسية آتية من بعيد ولكنها واضحة . وسكن القوم فجأة ، وأقبل الشيخ نحو بيترسون ووضع في يده حفنة من النقود ، وهو يشكره بأدب . فغمغم بيترسون